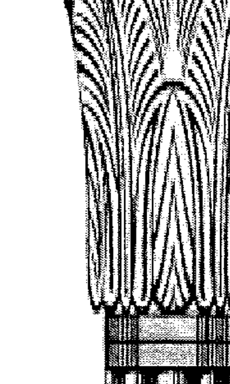
الهابط الغوي من معاني المثنوي

محمد بن عبد الله أحمد
أبو الفضل القونوي

لماذا يُبغِضُ الغربيُّون محمدًا ﷺ، والقرآنَ الكريمَ ويُحبُّونَ جلالَ الدين الروميَّ، وكتابَه المثنويَّ ؟

الهابط الغوي من معاني المثنوي

محمد بن عبد الله أحمد



رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٣٣١٦

الطبعة الأولى

دار الكتاب والسنة للطباعة والنشر والتوزيع

٥ ش أحمد عبد الله متفرع من ش عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠١٠١٠٢١١٨٧ - ٠١٠٤٦٧١٤٣٩

موقعنا على الإنترنت: www.dar_ketabsunah.com

للتواصل عبر الماسنجر: dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

dar_alktabwalsunnah@yahoo.com

البريد الإلكتروني: marketing@dar_ketabsunah.com

إدارة التسويق: production@dar_ketabsunah.com

إدارة الإنتاج: admin@dar_ketabsunah.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقَدِّمَة

الحَمدُ لله العَزيزِ القَوِيِّ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّهِ العَرَبِيِّ، محمَّدٍ المصطفَى مِنْ خِيرَةِ وَلَدِ آدَمَ، سَيِّدنا وقُدْوَتِنا الهادي إلى النُّجْحِ في الدُّنيا والفَلاحِ الأُخْرَوِيِّ[1]، وعلى آلِهِ وأصْحابِهِ خِيرَةِ الناسِ - بعدَ الأنبياءِ - الجِيل المِثَاليِّ، فَهُمْ أحَقُّ الناسِ بوَصْفِ: (وَليِّ الله)، بَلْ هُمْ مِنْهُ في الطِّرازِ الأَوَّليِّ، كيفَ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بالرَّحْمَةِ المُهْداةِ، واكْتَحَلَتْ أعْيُنُهُم بِمَرْأَى النَّبيِّ، وبَذَلُوا النَّفْسَ والنَّفِيسَ نَشْرًا لما جاءَ بِهِ في البلادِ نُورًا عربيًا غيرَ أعجَمِيٍّ، اللَّهُمَّ فَثَبِّتْ قُلُوبَنا على نَهْجِ ذاكَ الرَّعِيلِ السَّوِيِّ، واهْدِ ضَالَّ المسلمينَ إلى طَرِيقِهم، فإنَّها السَّبيلُ البَيْضاءُ النَّقِيَّةُ، مَنْ اقْتَفَى أَثَرَهُم فإنَّه مَهْدِيٌّ، ومَنْ تَنَكَّبَ عنها إلى بَعْضِ بُنَيَّاتِها، فهوَ مُنْحَرِفٌ أَهْوِنْ بِهِ مِنْ غَوِيٍّ.

وبَعْدُ: فهذا كتابُ إشْهارِ ضَلالِ كتابٍ صُوفِيٍّ، مُعَظَّمٍ عندَ جميعِ الصُّوفيةِ وإنْ جَهِلوا لِسانَهُ الفارسيَّ، ألا وهوَ كتابُ المثنَويِّ، ذاكَ المنظُومُ مِنَ الكلامِ

---

(١) اِلتزَمْتُ في مقدِّمَتي هذه سَجَعَاتٍ ما هيَ مِنْ طريقتي في الكتابة، رجَوْتُ بذلك جَذْبَ انتباه (عُشَّاقِ) كتاب المثنوي من العرب المستعجمين، الذين اتخذوا كتاب شعر فارسي منهاج حياتهم. حَتَّى ليُرى أثَرُ ذلكَ في عروبة أساليبهم، أعني فيها سَوَّدُوه من صحائف في تعظيم ذلك الشعر وقائله. فكتبوا مثل هذا الكلام في ترجمتهم له. « ورجعَ شمسِ تبريزيْ (كذا بالتركيب الفارسي) إلى (قونية)، وفرحَ مولويْ بعودته... »، أو: «لقد كان كتابُ مثنوي معنويْ... »!!.

الذي تُجُرِّئَ على وَصْفِهِ بالقُرآنِ البَهْلَوِيِّ، وأعْظَمَ أُناسُ الفِرْيَةَ فقالوا: إنَّه مِنْ كُتُبِ الوَحْيِ خامسُها السَّماوِيُّ، وكيفَ لا يَجْرُؤونَ وَقَدِ ادَّعَى مُؤَلِّفُهُ معنى ذلكَ زاعِمًا أنَّ أبياتَهُ كَشَّافٌ لآخِرِها القُرآنِيِّ، مُصَرِّحًا أنَّ مَنْظُومَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالمينَ عليهِ حَقيقِيٌّ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ لِشِعْرِهِ ما لِلْقُرآنِ مِنْ خاصِّ وَصْفِهِ العُلْوِيِّ، وَتَقَمَّصَ قُمْصانَ مُتَنَبِّئَةِ الصُّوفيةِ قَبْلَهُ فهوَ عندَ نَفْسِهِ وَلِيٌّ نَبِيٌّ، ولذلكَ يُحَرِّمُ المولَوِيَّةُ وَصْفَهُ بالشَّاعِرِ، وكذا مَثنوِيَّهُ بالدِّيوانِ الشِّعْرِيِّ، نَعَمْ، فإنَّ مما يَجِبُ أنْ لا يُهْمَلَ مِنْ تَرْجَمَةِ هذا الغَوِيِّ، أَنَّهُ كانَ مُدَّعِيًا معْنَى النُّبُوَّةِ دُونَ رَسْمِها اللَّفْظِيِّ، هذا بَيِّنٌ في كَلامِهِ وَهوَ مُقْتَضَى البَّحْثِ العِلْمِيِّ، فاعْجَبْ لمنْ يُطْلِقُ على هذا الشاعِرِ كلِمةَ (وَلِيٍّ) - بِمَفْهُومِها العَرَبِيِّ القُرآنِيِّ لا الصوفيِّ - ولا يَنْطِقُ اسْمَهُ إلَّا مُصَدَّرًا بِلَفْظَةِ: (حَضْرَةِ مَولانا) الرُّوميِّ، ويُتْبِعُها في أحايِينَ كثيرةٍ بـ(قُدِّسَ سِرُّهُ العَلِيُّ)، ويُسَطِّرُ الصَّحائفَ بِمَدائحَ قِيلَتْ فيهِ، ما هَذَرَ بِمِثْلِها في المَسِيحِ نَصْرانِيٌّ، ويَسْتَكْتِبُ اسمَهُ بِجَمِيلِ خَطِّ الثُّلُثِ الجَلِيِّ، فَلِلَّهِ ما أبْعَدَها شَخْصِيَّةً عَنْ مِدْحَةِ كُلِّ تَقِيٍّ، إنِّي لأَحْسِبُ رَشِيدِي العَقْلِ مِنْ مَدَّاحِيهِ مُسْتَيْقِظِينَ حِينَ يَقرؤونَ المواضِعَ التي جَمَعْتُها مِنْ شِعْرِهِ المَطْوِيِّ، وقَدْ يَصِيرُ أحَدُهُم فيهِ إلى رأيٍ قَريبٍ مِنْ رأيِ: ابنِ تَيْمِيَّةَ، والعلاءِ البُخاريِّ، والعَينيِّ.

سَيَبِينُ بكِتابي - إنْ شاءَ اللهُ - أنَّ الروميَّ لَمْ يَكُنْ (عَبْدًا للقرآن) ولا (تُرابًا في طريقِ النبيِّ) - كما زَعَمَ - بل كان حاذِيًا في مثنويِّهِ حَذْوَ مُحَرِّفي الكَلِمِ الإلهيِّ، أعْنِي الذينَ كَتَبُوا قَبْلَهُ (كَشَّافًا) للتَّوْراةِ، ذَوِي الرِّجْسِ التَّلْمُودِيِّ.

إِنَّكَ - أَيُّها القارئُ - لاقٍ في مُجْتَمَعِكَ مَنْ يُعَظِّمُ هذا المثنويَّ وأمثالَهُ تَعظِيمَ مُقَلِّدٍ عامِّيٍّ، فَحَذارِ أَنْ تُكَفِّرَهُمْ، لأَنَّ تَكْفِيرَ المعَيَّنِ شَأْنٌ شَرْعِيٌّ قَضائيٌّ، حَسْبُكَ أَنْ تَقْرَأَ عليهم كَلِماتٍ انتَخَبْتُها منهُ، وما خُبِّئَ مِنْ سِيرَةِ حياةِ مُؤَلِّفِهِ، وانْتَظِرْ تأثيرَها (الإيجابيَّ)، الذي وإِنْ كانَ بَعضُهُ صاعِقًا كَصَعْقِ تَيَّارٍ كَهْرَبِيٍّ، إِلَّا أَنَّه قَدْ يُصِحُّ عُقولَهم، أَلَيْسَ: آخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ؟! مُهِمٌّ أَنْ تُجادِلَهم بالحُسنَى (قُلْ كَلِمَتَكَ وامْشِ) يا أَلَمعِيُّ، لا يُعالَجُ خَطأٌ بِمِثْلِهِ، عَوْذًا باللهِ مِنَ الأسلوبِ الخارِجِيِّ[1].

وبَعْدُ: فهذا كتابٌ يَحْوِي بعضَ أبياتِ المثنويِّ، مُنْتَخَبَةٍ منهُ لمرادٍ تَحذِيريٍّ، والنُّصْحُ لكَ بهِ أَخَوِيٌّ، أَوْرَدْتُ فيهِ بعضًا مِنْ (مَعْنِوِيِّ) كتابِ المثنويِّ، الكتابِ الذي أَطْلَقَ المديحَ له فُلانٌ وفُلانٌ وأَشْهَرُهُم عندَ العرب أبو الحَسَن النَّدْوِيُّ، فإِنْ رأيتَ (مَعْنَوِيَّ) مُنتخَبِي منهُ خادِشًا للحياءِ فَناظِمَهُ ومادِحِيهِ حَوْلَكَ فَذُمَّ، لا يَلْحَقُ ناقِلَ الهُجْرِ - هُنا - بما نَقَلَ نَعْتُ (سَلْبِيٌّ).

هذا ذَوْدٌ عَنْ مُقَدَّسِنا القُرآنِ العَلِيِّ، بالكَشْفِ عَنْ حَقيقةِ مازُعِمَ أَنَّه تفسيرٌ لَهُ بِوَحْيٍ مِثْلِهِ تَنْزِيلِيٍّ، وإِرْجاعٌ لِشاعِرٍ حُشِرَ بَيْنَ (رجالِ الفِكْرِ والدَّعوةِ في الإسلام) إلى مكانِهِ الحَقِيقِيِّ، فكَتَبْتُ تَرْجَمةً لَهُ وضَمَّنْتُها أبياتًا قالَها بلسانِ العربِ وَقْعُها على الأديبِ شِتْوِيٌّ، وفَصَّلْتُ ما رَجَّحْتُهُ في كتابي عن أخبارِه مِنْ

---

(١) على ذِكْرِ كلابِ النار (الخوارج) أقول: كانت في الروميِّ من سَوْآتهم تكفيرُه مَنْ خالفه، واقرأْ تفصيلَ ذلكَ في منتَخَبي من كتابِ: (مناقب العارفين) عُمدة تاريخ الجلال الرومي وذويه. جمعه مِن أفواه مَن لقيه مِن مريديه، حُجَّةُ المولوية أحمدُ الأفلاكي.

كَونِ المثنوي هُوَ (المثناةُ) التي جاءَ التحذيرُ منها في العَهْدِ النَّبويِّ، وخَتَمْتُهُ بكلماتٍ وَجَّهْتُها إلى (رابِطَةِ الأدَبِ الإسلاميِّ)، فما وَقَفْتُمْ فيهِ مِنْ مَعْنىً ذَكَرْتُه قَبْلُ، فسَبَبُ ذلكَ التَّكْرارِ جَليٌّ: دَوامُ الجَهلِ بِخُطورَةِ هذا الرَّمْزِ الصُّوفيِّ، واجتماعُ خُصُومِ الإسلامِ وأهْلِ الغَفْلَةِ مِنَ الإسلامِيِّينَ على نَشْرِ فِكْرِهِ زاعِمِينَ أنَّه الفَهْمُ الصَّحِيحُ للدِّينِ الإسلاميِّ !!

لقَدْ جَمَعْتُ لكَ مِنْ (مَعْنَوِيِّ) المثنويِّ معانيَ يَفْرَقُ مِنْ سَماعِها كُلُّ عَفِيفٍ حَيِيٍّ، بِها يَعْلَمُ العاقلُ أنَّها نُظِمَتْ بإلهامٍ شَيْطانيٍّ لا رَحْمانيٍّ، فلذا يَحرِصُ (عُشَّاقُهُ) ألَّا يَتَسامَعَ بها إنْسِيٌّ ولا جِنِيٌّ !! ذلكَ أنَّها تجاوَزَتْ في وَصْفِ صَريحِ الخَنا وحِكايَتِهِ ما كَتَبَهُ كُتَّابُ الأدبِ الإباحيِّ، الأوربيِّ منه والأمريكيِّ، وقَدْ عَرَّبْتُها بِبَيانٍ بَليغٍ نَثْرِيٍّ، لكِنِّي بَسَطْتُ أسْطُرَها بِخِلافِ المتعارَفِ عليه في ذلكَ، مِنْ جَعْلِها في شَكْلٍ عَمُوديٍّ.

إنْ عَجِبْتَ مِنْ واحِدَةٍ مما تَقرَأُ، فسَيَعْقُبُ ذلكَ تَعَجُّبات، يومَ تَطَّلِعُ على رواياتِ الأفلاكيِّ عن الرُّوميِّ، فَفِيها ما شِئْتَ مِنْ (فاضِحاتٍ) تُرِيكَ أنَّه رُبَّما خُوطِبَ مِنْ قِبَلِ مُرِيدِيهِ بلَفْظَةِ :(إلهٍ)و(نَبيٍّ)، دُونَكُمْ مُنْتَخَبي مِنْ كتابِ (مناقبِ العارِفِين) للأفلاكِيِّ، اقْرَؤُوهُ وانظُروا أكانَتْ بِغْضَتِي لَهُ خارجةً عن المنهَجِ العِلْمِيِّ، ألَمْ تَقْرَؤُوا كلامَ ابنَ عربيٍّ ؟ الذي زَعَمَ فيهِ بأنَّ للأنبياءِ رُتْبَةً «فُوَيْقَ الرَّسولِ ودُونَ الوَلِيِّ»، وصَرَّحَ في (فُتُوحاتِهِ) بشَيءٍ سَمَّاهُ «أنبياء الأولياء»، وجاءَ بتَفْصِيلٍ لمرادِهِ لا يَدَعُ مجالًا لِمُخَرِّجٍ تَأْوِيليٍّ، يُرِيدُ إنقاذَهُ ولَوْ كان أُوتيَ شاعِرِيَّةَ أبي الطيِّبِ وبَلاغَةَ الرَّافِعِيِّ !!

إنّما يُصَدِّقُ ضَلالاتِ المثنويِّ مَنْ يَنْسُكُ نُسُكَ أعْجَمِيٍّ، ويَصْدِفُ عن هَدْيِ سَلَفِ الأُمَّةِ ونَجاتُهُ في صِراطِها السَّوِيِّ، ويَدْعَمُ كُلَّ صارِفَةٍ عن الكتاب المنزَلِ العربيِّ، فيَغْدُو (مُبَشِّرًا) بشِعْرِ رجُلٍ بَلْخِيٍّ، ذَرِبِ اللِّسانِ ثَعْلَبِيٍّ، فيُتَرْجِمُ نَخَيْرَةً مِنْ شِعْرِهِ إلى الألْسُنِ الأُخْرَى، يَلْتَقِطُ أبيَضَهُ، ويَذَرُ قَبِيحَهُ الزِّفْتِيَّ، ويَنْشُرُ بَيْنَ النَّاسِ أنَّهُ تَفسيرٌ لِكَلامِ الخَلَّاقِ العَلِيِّ، والعَدْلُ في وَصْفِهِ أنَّه زُخْرُفُ قَوْلٍ خَرَجَ مِنْ جَوْفِ شاعرٍ عَدُوٍّ للشَّريعَةِ غَبِيٍّ، لَكِنْ راقَ شِعْرُهُ مِنْ جِهَةِ أدَبٍ لأعاجِمَ فتَأْثِيرُهُ فِيهِمْ سِحْرِيٌّ.

وإنِّي أُحَذِّرُ هُنا مِنْ عَظِيمَةٍ، غِبُّ تَصْدِيقِها عَذابٌ سَرْمَدِيٌّ، مِنْ فِكْرَةٍ إلحادِيَّة بَثَّها في شِعْرِهِ، هِيَ اعْتِقادُهُ أنَّ الحُلُولَ حَقٌّ، مُصَحِّحًا النَّهْجَ الحَلَّاجِيَّ، فِكْرَةٌ حَمْقاءُ ما يَقُولُ بِها إلا زِنْدِيقٌ، أوْ غَرِيقٌ في الجَهْلِ، أوْ مَنْ بِهِ خَلَلٌ عَقْلِيٌّ، وَضَعُوا مَنْ قالَ: إنَّ مَثْنَوِيَّهُ دُكَّانُ الوَحْدَةِ أينَ شِئْتُمْ، فبِئْسَتِ الصَّفْقَةُ، وبئس مُرَوِّجُها الشَّقِيُّ، وأقولُ لمنْ يُرِي الناسَ مِنْ كَلامِهِ مَقْبُولًا -إذْ هو تَرْجَمَةُ حَقائقَ- باطِلُ أبْيَاتِ كِتَابِكُمْ غَمَرَ صَحِيحَهُ، فَتُوبُوا إلى رَبِّكُم واكْتَفُوا بِما نُزِّلَ على نَبِيِّنا العَرَبِيِّ (ﷺ). ولأمْرٍ ما قالَها فُقَهاءُ التُّرْكِ: (مَنْ تَعَلَّمَ الفارِسِيَّةَ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ دِينِهِ جُزْؤُهُ النِّصْفِيُّ)[1]، وهَلْ أسْهَمَ في عَمايَةِ مَدَّاحِيهِ عن رُؤْيَةِ مُهْلِكاتِ المثنويِّ إلا خَلْطُهُ الحقَّ بالباطِلِ بِبَيانٍ هُوَ عِنْدَ الأعاجِمِ سُكَّرِيٌّ، تَذَوَّقُوهُ فأَفْضَى بِهِمْ إلى حالَةٍ مِنَ العَتَهِ السُّكْرِيِّ، ألَا تَرَى كيفَ تَمُرُّ الأبْيَاتُ (القَذِرَةُ جِنْسِيًّا) على

---

(١) وهي بالتركية: « كِمْ كي أوقور فارسي، كِدَر دينن يارسي » و في ترجمتي بعض التصرف، وكتبتها بغير الإملاء العثماني.

مَسامِعِهِمْ، ويَقْرَؤُونَها، فلا يَخْتَلِفُ وَقْعُها عَلَيْهِم عَنِ النَّظِيفِ فِيها والنَّقِيِّ ؟
وأَصْلُ البَلاءِ الذي صَارَ بِهِمْ إلى هذهِ الدَرَكَةِ القَوْلُ: إنَّ كَلامَ الله مَعْنًى واحِدٌ نَفْسِيٌّ - عَقِيدَةُ كُلِّ ماتُرِيدِيٍّ وأَشْعَرِيٍّ - فإنْ أَلْقَاهُ الرَّبُّ - تَعالى - عَرَبِيًّا على مُحَمَّدٍ (ﷺ) فهوَ قُرآنٌ عَرَبِيٌّ، وإنْ أَلْقَاهُ على مُوسَى عِبْرانِيًا فهوَ وَحْيٌ تَوْراتِيٌّ، وإنْ أَلْقَاهُ فارِسِيًّا على وَلِيٍّ - كَهَذا البَلْخِيِّ - فهوَ وَحْيٌ فارسِيٌّ كَهذا الكِتابِ المثنويِّ، لأنَّ قُلُوبَ الأوْلِياءِ -زَعَمُوا- كالإناءِ يَنْزِلُ عَلَيها الوَحْيُ فَيْضًا يَفِيضُ مِنَ الله بِلا واسِطَةِ رَسُولٍ مَلائكيٍّ، ولِذا قالَ المتَصَوِّفةُ: (إنَّ إلهامَ الوَلِيِّ كَوَحْيِ النبيِّ)، فسَلَّمُوا للرُّوميِّ فاحِشَ أَلْفَاظِهِ، أَوْ عامَلُوها كالحُروفِ المقَطَّعَةِ في الآيِ القُرْآنيِّ، ثُمَّ قَرَؤوها في بُيُوتِ الله تعالى، وَلِمَنْ أرادَ مَثَلًا لمنْ اجْتَرَمَ ذلكَ في التاريخِ القَرِيبِ فإلَيْهِ طاهِرٌ المولَويُّ، فقَدْ كان لَهُ دَرْسٌ في الجامِعِ السُلَيْمانيِّ، وكانَ مِنَ المسْتَمِعِينَ لأمْثَالِ طاهِرٍ زاهدٌ الكوثريُّ، كان يَؤُمُّ دَرْسَ (حَبْرٍ) آخرَ مِنْ (أحبار) المولوية في جامعِ (الفاتحِ) العثمانيِّ، فلا الكوثريُّ ولا المئاتُ مِنْ (نُسَخِه) مِنَ العلماءِ قَبْلَهُ وبعدَه أنكروا منها كلمةً إلا القليل الأَنْدَرِيّ[1]، مِنْ أمثالِ (القاضي زادَه محمد)، وأتباعِه، ذلكَ الشيخُ الإصْلاحِيُّ، سُقْيًا لِعَهْدِهِمْ مِنْ تاريخ آلِ عثمانَ إنَّهُ على قِصَرِهِ ذَهَبِيٌّ.

وهذِهِ الأَجْيالُ تَتَعاقَبُ وكثيرٌ مِنْ عُلماءِ الأمَّةِ ساكِتُونَ عن نَقْدِهِ فِعْلَ مَنْ يُريدُ تأكيدَ الخَبَرِ الأَثَرِيِّ، الوارِدِ في علاماتِ اقْتِرابِ السَّاعَةِ عن عبدِ الله بن عَمرٍو القُرَشِيِّ السَّهْمِيِّ، الذي حَذَّرَ فيهِ مِنْ كتابٍ سَيُسْتَكْتَبُ سِوَى كتابِ الله تعالى، تَحْذِيرَ مَنْ سَمِعَ ذلكَ مِنَ النبيِّ (ﷺ).

(١) نسبتُها إلى (أندر) من الندرة.

وإنَّهُ لَعَمَىً بالبَصِيرَةِ أيضًا أنْ يُقالَ: إنَّ كتابَ المثنويِّ تَفسِيرٌ لِلقرآنِ العَليِّ، دَعْ مَنْ قالَ: إنَّه بَعْدَ التَّوراةِ والزَّبُورِ والإنجِيلِ والقرآنِ خامسُ كتابٍ سماوِيٍّ، فَهوَ قَولٌ لا يُدافِعُ عنهُ إلَّا كُلُّ مُجاهِرٍ بالزَّنْدَقَةِ عِنادُه فِرْعَوْنِيٌّ، ولكنْ لِيُخْبِرْنا أولئكَ (المُخَفِّفُونَ) الذينَ سَمَّوْهُ تَفْسِيرًا، عن معاني هذِهِ الأَبْياتِ، التي انْتَقَيْتُها، أيُّ آيَةٍ في كتابِ الله تعالى يَرْضَوْنَ أنْ تَكُونَ بعضُ تلكَ الأبياتِ كَشَّافَها الجَليَّ ؟ عَيِّنُوا الآياتِ القُرْآنيةَ، وانْشُرُوها معَ تفسيرِها المثنويِّ، إنَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ أَعْلَمْتُمُ النَّاسَ كيفَ تكونُ الزَّندقةُ إذا مُزِجَتْ بِحُمْقٍ هَبَنَّقِيٍّ، لا تُغْمِضُوا عُقولَكُم عن الحقِّ إذا ظَهَرَ، واتْرُكُوا التَّشَبُّثَ بباطِلِ مَوْرُوثِكُم الآبائيِّ، عَصَمَكَ اللهُ مِنَ التَّقْليدِ الأَعْمَى، ذلكَ داءٌ دَوِيٌّ.

ألا يا مادِحًا كتابَ المثنويِّ، لا تَقُلْ هوَ مِنَ الشِّعرِ، فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وقَبِيحُهُ مَقْلِيٌّ، ألا تَعْلَمُ أنَّكَ بقولِكَ: إنَّ العَيْبَ فيهِ جُزْئِيٌّ، مُغْضِبٌ مَوْلاكَ الرُّوميَّ – لَوْ سَمِعَكَ – غَضْبَةَ هِزَبْرٍ شِيْكَ بـ(دَبُّوسٍ مَكْتَبِيٍّ)، إذْ قولُكَ هذا هَدْمٌ لما رامَ بناءَهُ في مُقَدِّمةِ مثنويِّهِ كُلِّيٌّ، لأنَّكَ سَلَبْتَهُ بتقْبِيحِ بعضِ أبياتِهِ وَصْفَ تَنْزِيلِهِ (الشُّمُوليَّ)، أَلَمْ تَقرأْ في (أخباره) كيفَ اسْتَشاطَ غضَبًا على الفقيهِ الذي أَنْكَرَ أنْ يقالَ عنْ مثنويِّهِ: إنَّه كلامُ الله بالفارسيِّ؟ تَدَفَّقَتْ مِنْ فَمِهِ على الفقيهِ شَتائِمُ مُقْذِعَةٌ تَدَفُّقَ الخارِجِ مِنْ أُنْبُوبٍ كَنِيفِيٍّ.

دَعِ التَّعْلِيقَ على أُسْلُوبي، وَذَرْ لَفًّا ودَوَرانًا أنتَ خَبِيرٌ بأنواعِهِ، واذْكُرِ الحِسابَ الأُخْرَوِيَّ، واخْشَ يَوْمًا هُلْكُ الكَذَّابينَ فيهِ على الله أَبَدِيٌّ.

سَيقولُ مادحُ الروميِّ: (اذكُروا محاسِنَ مَوْتاكُم)، ثُمَّ لا تُدْرَى خاتِمَتُهُ، فَالكَفُّ عنهُ أَوْلَى بالتَّقِيِّ، فيقالُ لَهُ: أمَّا المحاسِنُ فتُذْكَرُ لمنْ لا يُزَنُّ بِبِدْعَةٍ، وأمَّا (مَوْلاكُمْ) فَبِضُرُوبِها مَحْشِيٌّ، وأمَّا جَهْلُنا بِخاتمتِهِ فَكَجَهْلِنا بخاتمةِ أكثرِ دُعاةِ الضَّلالةِ، مِمَّنْ لا نَشْهَدُ عليهم بجنَّةٍ ولا نارٍ، ولا تُعْرَفُ لهم توبةٌ أَنُمْسِكُ عن ثَلْبِ أولئكَ أيضًا يا (ذَكِيُّ) ؟! دَعْ ذا وخَبِّرْنا عن تأليهِ المخلُوقِ ووَحْدةِ الأدْيانِ في تُراثِهِ الشِّعْرِيِّ، ومَنْ ذا يُسَمِّيهِ اليومَ داعيةَ المحبَّةِ والمذهبِ الإنسانيِّ؟

والعَجَبُ مِمَّنْ يَرَوْنَ احتفالَ العَلْمانيينَ بهِ وبِشِعْرِهِ، ثمَّ لا يَنْقَدِحُ في أذهانِهم (شيءٌ) اسْتِفْهامِيٌّ، وقَدْ عَلِمُوا أنَّ الباشا كمالَ أَطَاتُوركَ[1] حينَ مَنَعَ طرائقَ التصوفِ أبْرَقَ ساسةُ الغَربِ إليهِ أنِ اسْتَثْنِ منها المولويَّ والبَكْداشِيَّ فاستثناهما، وصارَ مِنَ النَّادِرِ أنْ تَرَى كَماليًا لا يُعْلِنُ للروميِّ وِدادَهُ القَلْبِيَّ؟ وِئامٌ ما هنالِكَ بينَ الكَمالِيَّةِ والمولويةِ قَوِيٌّ، ولقَدْ سَمِعَتْ أُذُنايَ كلمةَ رئيسِ حُكومَتِهِم(أجاوِيدَ) اليسارِيَّ، يقولُ في مناسبةِ احتفالِهم بيومِ الحاجِّ البكداشيِّ، كلمةً - لَعَمرُ اللهِ - تُنبِئُ العاقلَ بالسَّبَبِ الذي صَيَّرَهم مُولَعِينَ بِنَشْرِ تُراثِ (مَوْلاهُمْ) وهو صوفِيٌّ، وعلى زَعْمِ الإسلاميينَ: شيخٌ فقيهٌ شرعيٌّ، قال (أجاويدُ): إنَّ إسلامَ (مولانا)، وإسلامَ (الحاجِّ بكداشَ) هما الإسلامُ التُّرْكيُّ، أمَّا ما سِواهُما فإسلامُ العربِ، وهوَ إسلامٌ أُمَوِيٌّ !!

كلمةٌ قَدْ كان على إسلامِيِّي التُّركِ الذين يُقدِّسونَ الروميَّ أنْ تُوقِظَهم مَكْنُوناتُها مِنْ سُباتِ الغَفْلَةِ، فَيَهْتِفُوا بِفَمٍ واحدٍ :

---

(١) كتابة كلمة (أتاتورك) بالتاء من الإملاء العثماني، ونُطْقُ الترك بها أقرب إلى الطاء منه إلى التاء.

رُوَيدًا إنَّهُ العِيدُ لَقَدْ باحَ الأجاويدُ
بِسِرٍّ كانَ يَكْتُمُهُ أَخُو الماسُونِ عِرْبِيدُ

أسأَلُ اللهَ ﷻ أنْ يُلْهِمَهُم الرُّشْدَ فَيُفِيدُوا بما نقَلْتُ وكتبتُ، وأنْ يَرزقَهُم فَهْمَ الصحيحَ لِدِينِهِ سبحانَهُ، لِيَمِيزُوا بعدَ ذلكَ الخبيثَ مِنَ الطيِّبِ، والخالِصَ مِنَ البَهْرَجِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ وارْحَمْ واسْتُرْ مِنْ عُيُوبي ما تَعْلَم، لَكَ الحَمْدُ في الأُولى والآخرَةِ، وصَلِّ اللَّهُمَّ على محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسَلِّمْ.

وكتب: محمد بن عبد الله أحمد

(أبو الفضل القونوي)

المدينة المنورة

٢٠/٦/١٤٢٩هـ



مؤلِّف المثنوي :

هو جلال الدين الروميُّ، الفارسيُّ البَلْخِيُّ ثُمَّ القُونَوِيُّ، كُتِبَ عن حياته الكثير من الكتب، ولكنها كانت بأقلامٍ يَنْقُصُ أصحابَها العلمُ بمعنى الدين الذي بعَث الله به محمدًا ﷺ، وإنما هُمْ كَتَبَةٌ أظهروا براعتَهم الأدبية في تحسين القبيح مِنْ حال هذا الرجل، وإخفاء الكثير من جَوانِب شخصيته المظْلِمَة، وتَقْضِي النصيحةُ للمسلمين بَيانَ حالِه وحالِ كتابِهِ المثنوي.

والمشاهَدُ في مؤلفاتِ جُلِّ هؤلاء الكَتَبَة أنهم أهْمَلُوا الرجوعَ إلى المصادر الأولى في ترجمته، واكتَفَى أكثَرُهُم بما انتَقَاه فلانٌ المستشرق عن فلانٍ المتزنْدِق، فهو يَسْطُر مُنتقاه مخلوطًا بتعليقاتِهِ في كتابٍ يَزْعُمُه ترجمةً لحياة الرومي، وإنما عملُه تقديم القول وتأخيره، وتغيير العُنوانات، وليس ثمَّتَ تحقيقٌ ولا تدقيق، و منهم مَن عَوَّلَ على تخَرُّصاتِ صاحب كتاب (السفينة المولوية) التي أوْعَبَها كذبًا، ولم يُعَرِّجوا على مصدرين أساسين كتبهما (فَرِيدُون السِّبَهْسالار)، و(أحمد الأفلاكي)، وقد صنعتُ نقيضَ مافعلوا، وعمدتُ إلى ما تهرَّبَ بعضهم من ذكره فدَوَّنْتُه في هذا الكتاب، كما فعلتُ مِنْ قبلُ في كتابي: (أخبار جلال الدين الرومي)، ولكني أجتزئ من ترجمته في هذا الكتاب بما كتبه مصدرٌ عربي واحد، فمَنْ أرادَ المزيدَ والتفصيل، ورغِبَ في تصحيح معلوماته عنه، فليرجِعْ إلى كتابي المذكور.

قال الإمامُ بدرُ الدين العَيْنِي[١] رحمه الله تعالى: «الشيخُ جلالُ الدينِ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ ابن أبي قُحافة القُرَشِي[٢]، المعروفُ بمولانا جلال الدين القُونوي.

كان رجلًا عالمًا بالخلاف وبأنواع العلوم، قَصَدَهُ الشيخُ قطب الدين الشيرازي شارحُ (المفتاح) وغيره، وجرى بينهما محاورات.

ثُمَّ إنَّ جلال الدين - المذكور - تركَ الاشتغال وانقطعَ، وتركَ أولادَه، ومدرستَهُ، وساحَ في البلاد، واشتغَلَ بالأشعار - غالبها بالفارسية - وألَّفَ كتابًا سمَّاه: المثنوي، وفيه كثيرٌ مما يردُّه الشَّرْعُ والسُّنة الطاهرة، وضلَّتْ بسببه

---

(١) بدر الدين العيني، محمود بن أحمد بن موسى، أبو محمد، إمام وفقيه من أئمة وفقهاء المذهب الحنفي، ومؤرخ من مؤرخي عصره، ومحدث كبير، صاحب كتاب (البناية في شرح الهداية) في فقه الحنفية، وصاحب الشرح المفضل لديهم لـ (صحيح البخاري) على شرح غيره. ولد في (الأناضول) سنة ٧٦٢هـ، في مدينة عينتاب، ورحل إلى بهسني، والكختا، وملطية، وأقام مدة في حلب، والقدس، ودمشق، وولي في مصر الحسبة، وقضاء الحنفية، ونظر السجون، له مؤلفات كثيرة، وكانت له علاقات مع سلاطين المماليك، وكان يقرأ لهم قصص التاريخ، ويعظهم. وحسبك أن منهم من عبَّر عما أفادوه منه بقوله: (لولا العيني لكان في إسلامنا شيء). توفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ.

(٢) هذا النسب القرشي باطلٌ، وقد طعن في صحته من (عشاق) الرومي المعاصرين، عالمان بتاريخ المولوية أحدها (فَرُوزَانْفر) وهو فارسي، ونظيره من الترك (عبد الباقي كولبينارلي) وقد زيَّفاه لا من منطلق ترفضهما بل لشواهد قوية سرداها. انظر ذلك فيما ألفاه عن حياة الرومي. ولو كان هذا النسب صحيحًا لذكره الرومي في مقدمته على المثنوي أو أورده في بيت له فيه أو في غيره، وكذلك الحال مع ابنه (سلطان ولد)، وهو ما لم يفعلاه قطُّ.

طائفةٌ كثيرة، ولا سيما أهلُ الروم[١]، وقد يُنْقَلُ عنهم مِنَ الإطراءِ في حقِّ جلال الدين - المذكور - ما يُؤدِّي إلى تكفيرهم، وخروجهم عن الدين المحمَّدي، والشرْعِ الأحمدي.

ويقال: إنَّ سببَ عُدُولِ الجلال - المذكور - عن التصَدِّي للاشتغال بالعلوم، وتوجُّهَهُ إلى الحال التي تُنْقَلُ عنه، أنه كان جالسًا يومًا في بيته وحولَه الكُتُب والطلَبة، فدخل عليه الشيخُ شمس الدين التبريزي، فسلَّمَ وجلس، فقال: ما هذا ؟ وأشار إلى الكتب والحالة التي هو عليها، فقال جلال الدين: هذه لا تعرفها، فما فرَغَ الجلالُ مِن هذه اللفظة إلا والنار قد عمِلَتْ في البيت والكتب، فقال الجلال للتبريزي: ما هذا ؟ فقال التبريزي: هذا لا تعرفه، ثُمَّ قامَ وخرجَ من عنده، فقام الشيخ وخرج وراءه ولم يجِدْه، ثم ترك كتبه واشتغاله وأولاده، وخرج منقطعًا، ولم يحصل له الاجتماع بالتبريزي المذكور بعدُ.

ويقال: إن حاشية جلال الدين قصدوه واغتالوه، واللهُ أعلم. مات الجلالُ في خامس جمادى الآخرة، من هذه السنة، أعني سنة اثنتين وسبعين وستمئة (٦٧٢هـ)، بمدينة (قونية)، ودفن بها، وبُنِيَتْ عليه تُربة عظيمة، ولقد زرتُه في سنة: ثلاث وعشرين وثمانمئة»، واستخدَمَ الإمامُ العيني في كتابه (تاريخ البدر) هذا التعبير: «وقد قيل: إنَّ سبب إخراجه من طَوْرِ الفقهاء، وتصييره إلى هذه الحالةِ شمسُ الدين التبريزي»[٢].

---

(١) المعنيُّ بـ(أهل الروم) سكان (الأناضول).

(٢) انظر تاريخ العيني: عقد الجمان (٢/ ١٢٨-١٢٩)، وتاريخه الآخر: البدر في أعيان العصر، مخطوط بخط العيني، الورقة ١٤٣. و لتفاصيل أكثر انظر كتاب: أخبار جلال الدين الرومي ووقفات مع ترجمته في رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الفضل القونوي.

هكذا ترجم له الإمام العيني، وما أعلم مولويًا، ولا صوفيًا تكَلَّمَ عليه بشيء، وإنَّ قوله: «وألَّفَ كتابًا سمَّاه: المثنوي، وفيه كثير مما يردُّه الشرع والسنة الطاهرة، وضلَّت بسببه طائفة كثيرة، ولا سيما أهل الروم، وقد يُنقل عنهم من الإطراء في حق جلال الدين - المذكور - ما يؤدي إلى تكفيرهم [1]، وخروجهم

---

(١) وقال علاء الدين البخاري(ت ٨٤١هـ) في معرض رده على الوجودية من الصوفية: «... وقد اتخذَ الجلالُ الروميُّ من هؤلاءِ: الشمسَ التبريزيَّ إلهًا، حيث قال بالفارسية:

شمس مَن وخُداي مَن عُمْر مَـن وبقاى مَن

ازتــو بـحق رسيده ام أي حـق حق كذار مَن

ترجمته بالعربية: شَمْسي وإلهي، عُمْري وبَقَائي منك، وصلتُ إلى الحقِّ يا حقُّ المؤدي لحقي. فأطلقَ اسمَ الإلهِ والحقِّ على التبريزي. وحاصلُ كلامِهِ أنْ يقولَ للتبريزيِّ: أنتَ إلهي الذي أوصَلْتَني إلى الحقِّ، وأنتَ الحقُ الذي أدَّيتَ حقِّي، حيثُ علَّمتني مذهبَ الوجوديةِ، وعرَّفتني أنكَ وجميعَ الممكناتِ إلهٌ، ولولا أنتَ لكنتُ أعتقدُ كما يعتقدُ أتباعُ الرسلِ والأنبياءِ، من الأئمةِ والعلماءِ والجماهيرِ والدَّهْماء أنَّ اللهَ - تعالى - هو غيرُ وجودِ الكائناتِ خالقٌ للمخلوقات موجدٌ للموجوداتِ الحادثة، على ما ثَبَتَ بقواطعِ العقل والآراء، ونطقَت به الكتبُ المنزلة من السماء، وأجمعَ عليه جميعُ الرسل والأنبياء، وكنتُ من القاصرين الذاهلين، لا من المحققين الواصلين.

ولا يخفى على آحادِ معاشرِ المسلمينَ، فضلًا عن أئمة الدين، ورؤساء الحق واليقين، أنَّ من تدين بهذا الضلالِ المبين، وتجنَّحَ بهذا المذهبِ الباطلِ اللعين، فقد سجَّلَ على نفسِه، وإنْ عبدَ عبادةَ أهلِ السموات والأرض، أو ظهرَ عليه خوارقُ العادات، بأنه أكفر الكافرين وأخسر الخاسرين. وإياكَ أنْ تُصغيَ إلى ما يقوله أتباعُه، الذَّابُّون عنه، من أن صُدور هذا الكلام وأمثاله عنه، إنما هو حال غلبات الوجد والسكر، لأن السكر والوجد الرباني إنما يكون حال الفناء في الفناء في التوحيد. وهي عبارة عن حال للعارف يضمحل عندها في نظره وجود ما سوى الله من الموجودات، ويحصل الذهول عن جميع الكائناتِ، حَتَّى عن نفسه وعن أحواله الظاهرة والباطنة، فكيف يتصور خطور الغير بالبال في هذه الحالة، فضلًا عن اتخاذه إلهًا منفردًا بالإيصال؟ نعم، يصدرُ أمثالُ هذا المقالِ عن

عن الدين المحمدي، والشرع الأحمدي» لَصَواعِق تُكَهْرِبُ الذين يزعمون أن المثنويَّ كتابُ هدايةٍ.

شيخُ الإسلام ابن تيميَّة والجلالُ الرومي :

ساقَ شيخُ الإسلام ابن تيمية الجلالَ الروميَّ بَيْنَ أقطاب التصوف المنحرف، الذين بَنَوْا بُنْيانَهم «على شيئين أحدهما: الاعتراف بالحلول، والثاني: القول بالاتحاد»، وكان يَرَى أنَّ «كُفْرَهم عند الله تعالى أعظمُ من كفر اليهود والنصارى، بل مِنْ كُفر عَبَدةِ الأوثان، وعبَدَة النار ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾»، وقال في بعض مصنفاته وهو يَعُدُّ أشهرَ المنحرفين في التصوف: «... فمِنْ أعظمِهم: محيي الدين بن عربي، صاحبُ الفصوص، وابن هُود، وابن سبعين، والتلمساني، وجلال الدين الرومي، وصدر الدين القونوي، ومنهم ابن الفارض»[1].

= المُتبطِّنِ لتلك الزندقة، المتسترِ بإظهار التدينِ بالدين الرباني، حالَ السكر الحاصل من غلبات الشيطان. ثم إن الزنادقة يتمسكون بهذا البيت وأمثاله الذي هو هذاء الحلوليين، وهذَيانُ الملحدين في اتخاذ شياطين الإنس إلهًا، ويذرون وراء ظهورهم قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠] ولا يلتفتون إلى قوله تعالى. فلا ينفعُ معَ هؤلاءِ الجهلةِ السَّفَلَة الكلامُ، وإنما النافعُ معهم العَضْبُ، والضَّرْبُ بالحسامِ المشرفيِّ الصَّمْصَامِ... ».

رسالة في الرد على الوجودية ص ٨، طُبعَتْ منسوبةً للتفتازاني وهي لتلميذه العلاء البخاري، ومنها نسخ مخطوطة عدة، منها نسخة حاجي محمود أفندي (رقم ٢٦٨٠).

(١) القول المنبي في ترجمة ابن عربي، للسخاوي (الورقة ١٥١). وقد أورَدَ كَوْنَ الرومي صاحبَ عقيدة منحرفة مؤلفون من أهل عصرنا أمثال: أحمد أمين، في يوم الإسلام (ص ٧٨)، وعباس العَزَّاوي، =

ولا ضَيْرَ إنْ لَمْ يَرِدْ في النصِّ السابق - الذي لا أعلمُ مَنْ أشار إليه من المعاصرين قَبْلي- تَسْمِيَةُ كتابِ المثنوي أو الإشارة إليه، فبَعِيدٌ في الاحتمال أن يسمع شيخ الإسلام بأمر الرومي ولا يبلُغُه أمر أشهَر كُتُبه، ومِثْلُ أبي العباس لا يحكُم بزندقة متصوف بالحكاية عنه، حَتَّى يقرأ من مصنفاته أو يُنقل إليه بطريق صحيحة مِن كلامه أو كلام مَنْ جَرَحَه مِن ثقات العلماء ما يُبَرِّر له إطلاق ذلك الوصف عليه، فالمفهوم عندي من نص كلامه أن بعض علماء (الأناضول) الذين سكنوا مصر والشام[1] حَدَّثُوه بما عرفوه من حال الرومي، أو بالذي بلغهم من علمائهم وآبائهم عنه، وقَوِيٌّ في الاحتمال أنه قد تُرْجِمَ له مواضع من كتاب المثنوي، أو أنه قَرَأ مقدمة المثنوي - وهي بالعربية- فسأل عنه وعن أخباره، فسلكه لذلك في زمرة كبار المنحرفين من الصوفية. ويمكن أن يكون بعض ما سأنقله من كلام ابن تيمية شاهدًا لما قلت آنفًا.

قال شيخ الإسلام: «... بَلَغَنِي عن طائفة مِنْ أهل زماننا أن منهم مَنْ يقول: إنَّ يونس عُرِجَ به إلى بطن الحوت كما عُرِجَ بمحمد إلى السماء، وأنه قال: لا تفضِّلُوني على يونس، وأراد هذا المعنى، وقد بيَّنا كذب هذا الحديث، وبطلان

=

في تاريخ العراق (٤/ ١٣٠)، وعمر فَرُّوخ، في تاريخ الأدب العربي (٣/ ٦٣٣)، ومن الترك محمد شاهين، في كتابه (نقد المثنوي)، وميكائل بايرام، في أكثر كتبه ومقالاته.

(١) أو مرُّوا بدمشق في طريقهم إلى الحج مثل: نظام الدين القونوي الذي ولد بقونية سنة ٦٥٤هـ وتَلْمَذَ لأحد أشد مخالفي الرومي في قونية ألا وهو قاضيها سراج الدين الأرموي (ت٦٨٤هـ)، وكان أبوه ركن الدين محمد نقيبًا بين يدي هذا القاضي، وكان مرور الأول بدمشق سنة ٧١٨هـ. انظر تاريخ البرزالي (المقتفي) ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣.

التفسير في غير هذا الموضع»[١] الشاهِدُ قوله: (من أهل زماننا) وكان الرومي من أهل زمانه، وما أنكره ابن تيمية مذكور في كتاب الرومي المسمى(فيه ما فيه) مِنْ جَمْعِ مُريدِيهِ لكلامه.

وكذلك تكلَّم ابن تيمية على الشخصية الخرافية: (نَصُوح) التي ذكرها الجلالُ في مثنويِّه وشيخُه التبريزيُّ في (مقالاته)، فقال: «... مَنْ قال مِنَ الجهال: إن نصوحًا اسم رجل كان على عهد النبي، أمرَ الناسَ أن يتوبوا كتوبته، فهذا رجلٌ مُفْتَرٍ كذابٌ جاهلٌ بالحديثِ والتفسيرِ، جاهلٌ باللغةِ ومعاني القرآن، فإن هذا امرؤٌ لم يخلُقْه اللهُ تعالى، ولا كان في المتقدمين أحدٌ اسمُه نصوحٌ، ولا ذكرَ هذه القصةَ أحدٌ من أهل العلم ولو كان- كما زعمَ الجاهلُ- لقيل: توبوا إلى الله توبةَ نصوحٍ، وإنما قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨] والنصوحُ هو التائبُ ومن قال: إن المراد بهذه الآيةِ رجلٌ أو امرأة اسمه: نصوحٌ، وإنه كان على عهد عيسى - أو غيره - فإنه كاذبٌ، يجبُ أن يتوب من هذه، فإنْ لم يَتُبْ وجَبَتْ عقوبته بإجماع المسلمين، والله أعلم»[٢].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٩٠) وقد ذكر الغزالي معنى القصة دون ذكر اسم، وذكر باسمه في كتاب (رونق المجالس)، نقل ذلك (فَرُوزَانْفر) في كتابه(أحاديث وقصص مثنوي، ص ٤٧٢، ٤٧٣)، وقد ذكره الجلال عرضًا في كتابه (المجالس السبعة ص٧٩). أما عشيقُه التبريزي فقد ذكرها قصةً كاملة . المقالات (٢ / ١٥٩-١٦٠)، وبينا تقرأ أن مولويًا محققًا مثل (كولبينارلي) قال: إن الخيال الشعبي هو الذي حوَّلَ نصوحًا من صفةٍ إلى شخصٍ، ترى إصرار (د. إبراهيم الدسوقي شتا) على

ومناسبٌ أنْ يُشارَ هنا إلى أن الرومي كان حُلوليًا، و من أشهر المادِحين للحلّاج الحلولي في مقولته (أنا الحقّ)، وكان شيخُه التبريزي حلوليًا من الطراز الأول، وسأذكر دليل ذلك من مصدرٍ رئيسٍ مولوي.

وقد يُظَنُّ أنَّ الجلال كان لا يقول بالحلول[1]، وأنه وجودي صِرْفٌ كابن عربي وأمثاله لأن الحلولَ يقتضي ثنائية الوجود: حالًّا ومحلولًا فيه، والوجودية يقولون: الوجودُ واحدٌ، لكن ينبغي أن يؤخذ في الحسبان أن هؤلاء الضالين من أكثر خلق الله تناقضًا، فلا تكاد تحكم على بعضهم أنه وجودي إلا وترى في مواضع من كلامه ما يَدُلُّ على أنه حلولي، و عُدَّ من ذلك قوله :

اتحاد حلول نيست نا بودن تيست[2].

يعني: ليس الاتحادُ هُوَ الحلولُ، بَلْ انعدامُكَ أنتَ.

=

أنه اسم شخص، وليس صفة !!

انظر ترجمته للمثنوي (٥/ ص٥٣٥).

(١) قال بحلوليته (محمد خلف الله) في مقالة في مجلة الرسالة. ص١١، إلا أن مقالته أغضبت رجلًا يدعى (عبد العزيز جنكيزخان)، فكتب يرد عليه في العدد ١٦٠ نافيًا حلوليته، ومثبتًا كونه تركيًا ص٢٥-٢٦، (يا عقلاء أتركيٌّ وقُرَشي ؟!!)، وقرأت في (مجلة الرسالة) العدد ٧٩٥ سنة١٩٤٨م، مقالة يقول كاتبها: « يتصورُ جلالُ الدين الذاتَ الإلهية داخلةً في جوهر الكون فعالة في مخلوقاته، وأن المتأمل يرى ذات الله في كل الأشياء »، ثم قال: « فجلال الدين الرومي حلولي وفوق ذلك هو من أعظم الفنانين بإشراق ديباجته ووضوح خياله وإبراز معانيه » !! ويبدو أن كاتب المقال واسمه (عبدالموجود عبد الحافظ)، لا يدري أنه مع القول بالحلول يذهب كل فَنٍّ من الفنون الوَضْعِية إلى الجحيم، أم تراه ممن لا يؤمنون بيوم البعث والنشور.

(٢) حياة الرومي للمولوي التركي شفيق جان (ص ١٣٧).

وقوله:

جون خدا اندر نيابد درعيان

نائـب حقند اين بيغا ميـران

ني غلط كفتم كه نائب بامنوب

كردو پندارى خطا آيدنه خوب

ومعناه بالعربية :

بما أنَّ الله لا يُرى عيانًا

فإنَّ الأنبياء نُـوَّابُ الله

لا، قَدْ غلطتُ، فمِنَ الخطأ ظَنُّكَ ثُنائية النائب

والمنوب عنه، هذا لا يَجْمُل !![1]

وممن ذهب إلى أنه حُلولي الدكتورُ (ميكائيل بايرام)، أستاذُ كرسي التاريخ في (جامعة سلجوق) بقونية، الذي إذا عُدَّ مؤرخو الترك في القرن الميلادي الفائت، كان ممن يَلي طبقة (فؤاد كوبرلي)، و (عبد الباقي كولبينارلي)، والدكتور ميكائيل من الذين أحسنوا الإفادة من المصادر المخطوطة، بل كان خرِّيت المخطوطات في تركيا، وبخاصة الفارسية منها، فهو يكتب بها وينظم، وقد نَذَرَ نفسه لتحقيق تاريخ شخصيات كانت في عهد سلاجقة الأناضول، التي غلب الغموض على تراجمها، فأدَّاه البحث الطويل في ذلك إلى نتائج أَقَلُّ ما تُوصف بها أنها مُذهِلة حَتَّى إنه حين أخبر مرة أستاذه (عبد الباقي

---

(١) المثنوي ١/ رقم البيت ٦٧٣.

كولبينارلي) ببعض ما توصَّل إليه في تعليل وتفسير بعض الروايات القديمة حول الرومي والتبريزي انْبَهَر بها سمعه، وقال في معنى ذلك كلمة يقولها الأتراك: «ياهُوْ سَنْ بَنِي حَيْض أَتْدِّنْ» عند الإقرار للمناظر بالغَلَبَة [(١)].

قد يقال: هؤلاء الذين جرحوا الرومي بهذا الجَرْح خصومُهُ مِن أهل الشريعة، فلا عِبْرَة بهم، فمَنْ ظنَّ هذا وقاله فليصحِّحْ معلوماته، فإن المولوية مِنْ قديم - والرومي نفسه - ما كانوا يرون ما أنكره عليهم علماء المسلمين قولًا بالحلول أو تأليهًا لمخلوق، ومصادر المولوية تَعُجُّ بأخبارٍ تؤكد صدق علماء المسلمين فيما رموهم به من فظيع الشرك الأكبر، وغير ذلك من البدع، نقرأ في تلك المصادر ما يُفهم منه بوضوح أن الرومي كان يرضى بعبادة مريديه له، وأنه شرع لهم السجودَ للشيخ، (ذلك السجود الذي نراه إلى اليوم في حفلات سماع المولوية في التلفاز)، ومما حكاه الأفلاكي أنَّ الجلال قذف فقيهًا بسَبَّةٍ من سبابه الشنيع الذي قال الأفلاكي في تبريره: إنها سبة من سباب بلاد خراسان التي جاء منها الرومي[(٢)]، وما كان مِنْ ذَنْبٍ لذاكَ الفقيه إلا أن قال له يومًا: «لا يُسْجَدُ لمخلوق»، فقال له الجلال: «يا أخا القَحْبَةِ !! ومالي لا أسجد لمن أنقذني من كيد الشيطان، ويسَّرَ طريق حُرِّيَّتي، وَوَهَبَ لي حياة جديدة، نفسي له الفداءَ»[(٣)]. فانظر أيها القارئ إلى معنى هذا الخبر ألا تراه يَنظُرُ مؤيِّدًا

---

(١) وكان قد أصدر من قريب كتابًا بعنوان: (الأبعاد الاجتماعية والسياسية لصراع جلال الدين الرومي والأخي أورن) صرح فيه بأمور مهمة [(١)]. انظر ص ١٥١.

(٢) مناقب العارفين(٢/ ٣٢٩).

(٣) مناقب العارفين (٢/ ٧٥).

ـ معنى الشِّعر الذي نقله (العلاء البخاري) عن الرومي يُؤَلِّهُ فيه شيخَه ـتبريزيَّ؟.

وكان يبلُغُه - أعني الرومي - تأليهُ مريده (علاء الدين ثريانوس) إياه، فيُقِرُّه ويؤيده، ولما كَثُرَ إعلانُ ذلك مِن هذا المريد اشتكاه فقهاء (قونية) إلى القاضي سراج الدين الأرمويِّ، قائلين له: إن (علاء الدين ثيريانوس) لا يفتأ يصرِّح بتأليه شيخِه جلال الدين، تصريحًا يقول فيه: إنه ربُّه وإلهه، وهذا كفرٌ، يُضادُّ ما جاء به محمدٌ ﷺ، فأرسل القاضي في طلبه إلى دار القضاء وسأله: «أأنتَ الذي يقول: إنَّ جلال الدين إلهٌ ؟» فقال (ثريانوس): «كلَّا، ما وَفَّيْتُه حَقَّ وَصْفِه، بل أقول فوق ذلك: إنه خالقُ أرْبَابٍ، انظُرْ إليَّ، ألا تَرى ما صَنَع بي ؟ قد كنتُ مجوسيًا معاندًا بعيدًا عن الحقيقة، فوهَبَني (مولانا) العرفان، وجعلني حكيمًا، وأنعم عليَّ بالعقل، وصيَّرني عارفًا بالله، وأوصلني إلى حقيقة معرفة الله بعد أن كنت مقلدًا يقرأ ظاهر الألوهية، وصارتْ كلمةُ: (مَن عرَفَ نفسه عرف ربه) نقدَ وقتي الذي أقضيه فيه. لا يعرفُ الإلهَ مَنْ لم تكن في روحه ألوهية. هذا دليلٌ قاطعٌ، إن النحويَّ يعرفُ النحوي، والفقيهَ الفقيهَ، لكن الجاهل لا يمكنه أن يتعرَّف العالم، الشمسُ لا يرها الأعمى، كذا الألوهية لا تكسب عند من لا ألوهية فيه...» ثم إن (ثريانوس) حكى لمولاه الجلال ما جرى في مجلس القاضي، فتبسَّم الجلال وقال له: «قُلْ للقاضي سراج الدين الأرموي: وَيْلٌ لك إن لم تصبح أنت إلهًا أيضًا»[1].

---

(١) مناقب العارفين (١/ ٤٧١).

والشيخ المولوي (علاء الدين ثريانوس) هذا مثالٌ على نجاح الجلال الرومي في تلقين مريدِيه عقيدة الحلول، التي ثَقِفَها هو من شمس الدين التبريزي[١]، حَتَّى صار هذا المريد يُجيب مَن سأله مِنَ المسلمين في (قونية): لماذا تقول لـ(مولانا): إنه إلهُكَ!؟ بالقول: «ما وجدتُ كلمة أعظم من الإله وأجلَّ كي أطلقها عليه، وإني لو وجدتُها لأطلقتها عليه!!»[٢].

والذي يَدُلُّكَ على أن أهل الشريعة في قونية كانوا حربًا على المولوية، التعليق الذي أحسَّ الأفلاكي بضرورة كتابته بعد حكاية الخبر السابق، وهو دليل على اتصال جهاد العلماء للمولوية حَتَّى أيام الأفلاكي، قال: «مهما قال المريد المخلص في شيخه، فإن ذلك جائز في طريقة أهل الحقيقة، فمِنْ ثَمَّ لا يُلامُ على ما قال!!». ولذلك لم يَتمَعَّرْ وجهُ مولويٍّ مِن غُلوِّ بيتٍ قاله مؤيد الدين الجَندي (ت٦٩٩هـ) مخاطبًا الرومي بقوله:

لـو كـان فِينـا للألـوهة صـورة   هُـوَ أنـتَ لا أكْنِـي ولا أتَـرَدَّدِ

بل ساروا على نهج معلِّمهم الرومي في الحلولية، حَتَّى قرأت في نسخة للمثنوي عتيقة بخط قونوي يُدعى محمد بن عيسى الحافظ المولوي، معاصر للأفلاكي، هذا البيت كتبه على الورقة الأخيرة:

ولَهُ جَلالٌ ليسَ فوقَ جلالِهِ   إلا جَلالُ الحقِّ جَلَّ جَلالُه[٣].

---

(١) سيأتيك ما رواه الأفلاكي في ذلك.

(٢) مناقب العارفين (١/ ٤٧٣).

(٣) نسخة في المكتبة (المحمودية) كتبها سنة ٧٨٧هـ، وله نسخة أخرى كتبها سنة ٧٧٠هـ، في (بشير أغا) وكلاهما في المدينة المنورة.

وعلى هذا يمكن القول إنَّ المريد الذي بلغ رتبة (ثريانوس) من التحقُّقِ بعقيدة الحلول كان إذا خاطب الجلال بلفظة: (مولانا) فإنه يُضَمِّنها معنى (إلهنا)!! ألا ترون أنهم خَصُّوا بها الجلال حَتَّى كانت مرادفًا لاسمِه.

فكيف يكون كتاب المثنوي مصدرًا للمسلم يَسْتَقي منه علوم دينه ومؤلفه مَن يعتقد بالحلول ؟

انظر إليه كيف قال لمريده الذي كان فقيهًا فأضلَّه: «قد كانوا يُحَدِّثُونكَ إلى يومنا هذا عن الله من وراء الغَيْب، وأنت تسمع لهم، وإنك بعد يومنا هذا سامعٌ مِنَ الله كفاحًا» ؟!

. كيف نأخذ (أصول أصول أصول الدين) ممن كان يقول لمريديه: «قد أراد الله إنهاء النبوة والرسالة بمحمد، لكن ألئن الرسالة والنبوة انتهت أَوَ تنتهي الألوهية معها ؟ إن الألوهية دائمة، وهي موجودة عند أولئك النفر الذين يتمتعون بالصفات الإلهية»، وقوله لمريديه حين أخبروه بموت أحدهم، فقال لهم: «هَلَّا آذنتُمُوني قبلَ وفاته كي أَحُول دون موته؟!».

رحم الله أبا العباس ابن تيمية حين قال عن أمثال الرومي إنهم: «إما آلهة عند نفوسهم، وإما زنادقة أو فسّاق»[1]، وقال وكأنه يصف الرومي: «... وهكذا شيوخُ الدعاوى والشَّطح، يدَّعي أحدهم الإلهية، وما هو أعظم من النبوة، ويَعْزِل الربَّ عن ربوبيته، والنبيَّ عن رسالته، ثم آخرته شحَّاذ يطلب ما

(١) مجموع الفتاوى: (٢/ ٦٠).

يُقِيتُه، أو خائف يستعين بظالم على دفع مظلَمَتِه ، فيفتقر إلى لُقْمة، ويخاف من كلمة، فأين هذا الفقر والذُّل مِن دعوى الربوبية المتضمِّنة للغِنى والعِزِّ ؟»[١].

وقال عن متصوف متفلسف يُدعى (ابن هود): «وقد كان عندنا بدمشق الشيخ المشهور، الذي يقال له (ابن هود)، وكان من أعظم من رأيناه من هؤلاء الاتحادية زهدًا ومعرفة ورياضة، وكان من أشد الناس تعظيمًا لابن سبعين، ومفَضِّلًا له على ابن عربي، وغلامِه ابن إسحاق (يعني الصدر القونوي)، وأكثرُ الناس من الكبار والصغار كانوا يطيعون أمره، وكان أصحابه الخواص به يعتقدون فيه أنه: الله...»[٢]، فهذا الجلال الرومي في قونية شبيه لابن هود في دمشق.

وقد نقل الأفلاكي عن (سلطان ولد) أنه قال ذات يوم لأبيه الرومي: «ما أحسن زماننا هذا بين الأزمنة، كلُّ الناس فيه معتقدون، (يعني في أبيه) مخلصون، وإن كان فيه منكرون، فإنه لا قوة عندهم!!. فقال الرومي: ما دعاك إلى هذا القول يا بهاء الدين ؟ فقال(سلطان ولد): قتَلَ المنكرون الحلاجَ فيما مضى من الزمان لقوله: (أنا الحق)، وأرادوا قتل أبي يزيد (البسطامي)، وكم من شيخ عظيم قتلوه، وآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[آل عمران: ٢١] قيلَتْ فيما مضى من العصور، وأحمدُ الله أنه ما بقي اليوم مَنْ يعترض على أبيات سيدي، وغيرها، التي يحوي كل بيتٍ منها على مثل: (أنا الحق)،

(١) منهاج السنة النبوية: (٧/ ٢٠٩).

(٢) بغية المرتاد (ص ٥٢٠).

(سبحاني...)!! فاستضحك الروميُّ قائلًا: كان مقام أولئك الأولياء مقام عِشْق، والعاشقون يُمتَحنون بالبلايا أما مقامنا نحن، فمقام المعشوقين، و دَيْدَنُ المعشوق أن يُحقِّق حُكْمَه، ويُنْفِذَ طلبتَه، فإنَّ المعشوق مطاع، يصير أميرًا على الأرواح والنفوس، ويَتَملَّكُ العقول».

وقال في كتاب (فيه ما فيه): «يظن الناس أن قول الحلاج: «أنا الحق» دعوى كبيرة، والحال أن قولك: «أنا عبدٌ» هو الادعاء الكبير. إن قولك: «أنا الحق» تواضعٌ كبير !! إنك بقولك «أنا عبدٌ» تُثبت وجودين، وجود نفسك ووجود خالقك بَيْدَ أن قول: «أنا الحق» إعدام نفسك وذهاب بها في الهواء. يقول: «أنا الحق» ويعني: أنا عَدَمٌ وهو الوجود، لا وجود لشيء غير الله، أعني أنني عدم محض لست بشيء أصلًا، التواضع في هذا الكلام جَمٌّ، فلهذا لا يفهمه الناس...»[1].

وقال: «عندما فَنِيَ وجودُنا اضطربَ بحرُ القِدَم، فأنا الآن حَلَّاجُ الزمانِ أقولها للناس بين حِين وحين»[2]، ويبدو أن شمس الدين التبريزيَّ شرح حلولية الحلاج لعشيقه الجلال بطريقته الخاصة، وذلك في هذه الحادثة التي رواها الأفلاكي، وهي أن الرومي دخل ذات مرة على تبريزيِّه الحجرة فجأة، فرآه وزوجة التبريزي (كيمياء خاتون) في حال المضاجعة الزوجية، فرجع القهقرى، وانتظر خارج الحجرة، فلما ناداه التبريزيُّ ودخل، لم يرَ (كيمياء

---

(١) كتاب (فيه ما فيه)، (ص ٣٧).

(٢) كتاب (حلاج منصوره دائر) مخطوطة بالتركية للمولوي (طاهر أولغن) بخطه (ص١٣).

خاتون) فسأل عنها فقال التبريزي: «إنَّه قد بلغَ مِن حُبِّ الله لي، أنْ صِرْتُ متى طلبتُ إليه أنْ يجيئني جاءني، وإنه قد جاءني في هذه المرَّة على صورة زوجتي كيمياء خاتون !!»[١].

وسُئل علاءُ الدين (ثريانوس) مِن قِبَل مُعارضٍ للمولوية في (قونية) يدعى (الأخي أحمد)[٢] عن تَعَبُّدِهِم بسماع الموسيقا، فقال: قد قرأتُ من الكتب حِمْلَ حمارٍ، وما وقفتُ في شيء منها قطُّ يُبيح السماع، فبأيِّ دليلٍ تُمِرُّونَ هذه البدعة ؟ فقال علاء الدين (ثريانوس): وقرأتَها قراءةَ الحمار أيضًا، فمِنْ ثَمَّ لم تَقِفْ على موضعه، وإنَّا لنحمَدُ الله أنَّا قرأنا مثل قراءة عيسى، فأدْرَكنا سرَّه!!.

صُوَرُ هذه العنجهية كثيرةٌ عند شيوخ الوجودية والحلولية، ولقد لقي شيخ الإسلام ابن تيمية أشباه (ثريانوس) وشيخه الرومي في الشام ومصر، وشهد نظرتهم للعلم والفقهاء من علٍ، وقال في ذلك إنهم: «يعتقدون أن سائر الناس محجوبونَ، جُهالٌ بحقيقتهم وغوامضهم،...، إنما الناس عندهم كالبهائم، حَتَّى قال لي شيخ مشهور من شيوخهم لما بيَّنتُ له حقيقة قولهم، فأخذ يستحسنُ ويُعظِّمُ معرفتي بقولهم، وقال: هؤلاء الفقهاء صُمٌّ بكمٌ عُمي فهم لا يعقلون، فقلتُ له: هبْ أن الفقهاء كذلك، بالله عليك أهذا القول موافق لدين الإسلام؟»[٣].

---

(١) مناقب العارفين ٢/ ٢١٤.

(٢) الأخي: لقب أطلقه أهل الفتوة في (الأناضول) على أنفسهم.

(٣) بغية المرتاد (ص ٥٢١).

ومِنْ مُنطَلَقِ حلولية الجلال ومريديه كان جواب مولوي عَثُورٍ مِنْ شُرَّاح المثنوي عن الفحش الوارد في قصصه، أعني بالنظر لادعائه الألوهية وكونه نتيهم مُتَّصِفًا بصفات الله[1] جاءَ تَعْليلُ الشارحِ للأبياتِ عَدِيمَةِ الحياء بقوله: «... لأنَ الأولياء مُتَّصفون بصفات الله، ومن صفاته عدم الاستحياء»[2] مفهومٌ مُنْتَكِسٌ، تعالى الله وتقَدَّسَ عن إفْكِهِم الأحمق.

فهذا جلالُ الروميُّ، وهذا بعض فِكْره و دعوته، ما زادَ في المحَصَّل عن إضلالِ من كان مُهتديًا، وزيادة حَوَلِ ذوي البصائر الزائغة، وتَغيير جَناحِ فُندق مَنْ سَيُخَلَّدُ في النار-لو مات على عَقْدِه الأوّل- إلى جناحٍ آخَرَ في بعضِ قِيعانِ سَقَر!!

❊ ❊ ❊

---

(١) مناقب العارفين (١ / ٤٤٩).

(٢) المنهج القوي لطلّاب المثنوي (٥/ ٣٦٠).



اعتقادُ الصوفية في المثنوي

(شرحُ الملّا الفَنَاري على مقدمة المثنوي أُنموذجًا)



مقدمة المثنوي:

قال جلال الدين الرومي في مقدمته على الجزء الأول من المثنوي (**كتبها جلال الرومي بالعربية**): «هذا كتابُ المثنوي، وهو أصولُ أصولِ أصولِ الدين، في كشفِ أسرارِ الوصول واليقين، وهو فقهُ الله الأكبرُ، وشرعُ الله الأزهر، وبرهانُ الله الأظهر، مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباحٌ، يُشرقُ إشراقًا أنورَ مِن الإصباحِ، وهو جِنانُ الجَنانِ، ذو العيون والأغصان، منها عين تُسمَّى عند أبناء هذا السبيلِ سلسبيلًا، وعند أصحابِ المقاماتِ والكرامات خيرٌ مقامًا وأحسن مقيلًا. الأبرارُ فيه يأكلون ويشربون، والأحرارُ منه يفرحون ويطربون.

وهو كنيلِ مصرَ شرابٌ للصابرين، وحسرةٌ على آل فرعون والكافرين، كما قال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦] وإنه شفاءُ الصدورِ، وجلاءُ الأحزانِ، وكشَّافُ القرآن، وسَعَةُ الأرزاق، وتطييبُ الأخلاقِ، بأيدي سَفَرةٍ كرامٍ بررةٍ، يمنعون بأن لا يمسَّه إلا المطهرون، تنزيلٌ من رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واللهُ يرصدُه ويرقبُه، وهو خيرٌ حافظًا، وهو أرحمُ الراحمين.

وله ألقابٌ أُخَرُ لَقَبَّهُ اللهُ تعالى بها، واقتصرنا على هذا القليل !!، والقليلُ يدُلُّ على الكثير، والجرعةُ تدل على الغدير، والحفنة تدل على البَيْدَرِ الكبير...».

إلى آخر ما قال فإن بقية الكلام غلوٌّ يُغِثُّ نفس القارئ في مدحِ عشيقه (حسام الدين) كاتب وَحْيِهِ !! ولكن انظروا كيف تَلَقَّى الصوفيةُ هذا الغَثَّ البارد من الأكاذيب.

شرح الفناري :

كتَبَ الناسخُ ويبدو أنه تلميذ الفناري :

«قال الشيخ الإمام المبين، جامع علوم الأوَّلين والآخرين، وارث الأنبياء والمرسلين، المتحقق بالوراثة المحمدية في مقام الصدق واليقين، شمس الحق والملّة والدِّين، محمد بن حمزة بن محمد الفَنَاري[1] مدَّ الله ظلَّه على الطالبين المستَرشِدين:

قال الشيخ العارف، المحقق، قطب الأولياء السالكين، جلال الحق والملَّة والدين، قدس الله سره في أول كتابه المثنوي المعنوي: «**هذا كتاب المثنوي، وهو أصولُ أصولِ أصول الدين، في كشف أسرار الوصول واليقين**». أقول - والله أعلم - كأنه أراد من «**الوصول**» علم السلوك والأخلاق، ومن «**اليقين**» علم اليقين علم العقائد والحقائق، وعلم التوحيد والصفات، وأراد من «**أسرار**» هما قواعدهما الكشفية لا البرهانية، وأشار إلى ذلك بلفظ **الأسرار** لأن سرَّ الشيء ما خفي منه، والأحكامُ البرهانيةُ عند أهل العقل ظاهرةٌ غير خفية، ولا التفاتَ عند أهل التحقيق إلى طَوْر العقلِ وأدلَّتهِ إلا بقدر أن يفهم به ما عُلِمَ بالكشف

(١) المتوفى سنة ٨٣٤هـ انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٦/ ١١٠.

فيتبعُ لذلك، لم يَرِدْ في الكتاب والسنة والآثار الاستدلالُ بالدلائل العقلية والبراهين المنطقية إلا نزرٌ يسيرٌ، تفهيمُ العوامِّ بدُونِه عسِيرٌ، وإنما قَدَّمَ ذِكْرَ علم السلوك لأن الوصولَ مقدمةُ اليقينِ لَمَّا عَلِمَ أن الكشف هو المخَلِّصُ عن الشبهة والتخمين، أمَّا أنَّ قواعدَ هذين العِلمَين - وهو العلمُ بالله بتيقُّنِ الحقائق والصفات، والعلمُ بمنازل الآخرة بالسُّلوك- الموصلَ إلى الوصولِ، فذلك مِنْ وجوهٍ :

الأول: أنَّ (الدِّين) فسَّرَهُ العلماءُ بأنه وَضْعٌ إلهيٌّ سائقٌ لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خيرٌ و كمالٌ، فهو الذي يتكفَّل بيانه علم الفقهِ المستفاد من الكتاب والسنة، كما قال قدس الله سرَّه:

علم دين فقه است وتفسير وحديث

هر كه خواند غير اين كردد خبيث

مرد دين صوفيست ومقرئ وفقيه

ورنه اين خواني منت خوانم سفيه

فعُلِمَ أنَّ قواعدَ هذه العلومِ الثلاثةِ - أعني المستنبطة بها - هي أصول الدين، ثُمَّ أصولُ هذه الثلاثة: علم الكلام، وهو الاعتقاداتُ، وعلمُ الأخلاقِ، وهو الوِجدانياتُ، كما قال قدَّس الله سرَّه:

اين نبيه علم باك را مغز نجات

حسن اخلاقيست وتنزيل صفات

فهذان العِلمان - أعني قواعدهما - أصولُ أصولِ الدين لأن البراهينَ العقلية في علم الكلام تُفيد وجود الذات، واتصافه بالصفات، واستناد الآثار كلها إليه بالآيات والبينات، وعلمُ الأخلاقِ يفيدُ معرفةَ الاعتدال بينَ الإفراطِ والتفريطِ في الحكمة، والشجاعة، والسخاوة، والعِفَّة، بل في كل شيء، لأن خير الأمور أوساطها، ثمَّ الأسرارُ الكشفيةُ أصولُ هذين العلمين المبرهَنَيْن، لما علم أن براهينهما تستند إلى المفهوم الظاهر من الكتاب والسنة، ولا ريبَ أن الظاهر مما يستفاد من الكشف أيضًا ومُتبين في الحقيقة على باطنهما ومطلعهما الذين لا يمكن الوقوف عليهما للمحقق إلا بالكشف، ولغيره مِنَ المقلِّدين إلا بالأخذ منه، فهذه العلوم - أي الكشفية - أصولُ تلك المعلومات المبرهنة، وهي أصولُ القواعد الفقهية المستنبطة من الكتاب والسنة، فهذه أصولُ أصولِ أصولِ الدين، والله أعلم!!.

الوجه الثاني: أنَّ علمَ الحقيقةِ غايةُ علمِ الطريقةِ ومقصوده، وعلمُ الطريقةِ غايةُ علمِ الشريعةِ ومطلوبه، لأنَّ العلمَ إنما يُطلب للعمل به، وعلمُ الشريعة الفقهيةِ - إذا فُسِّرَ الفقهُ بما فسَّرَ به الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفةَ الكوفي ﷺ وهو معرفةُ النَّفْسِ ما لها وما عليها، فيتناولُ الاعتقاديات والوجدانيات - كُلُّه مستفادٌ من العلوم الكشفية التي منها الكتاب والسنة بمراتبهما الأربع، وغايةُ الشيء ومقصودُه أصلُه الروحانيُّ والمعنوي، وإن كان فَرْعًا جَسَدانيًا وصُوريًا، فالعلومُ الكشْفِيَّةُ، التي هي غايةُ الغاياتِ أصولُ أصولِ أصول الدين.

الوجه الثالث: أنَّ أصولَ الدين - في المشهور - علمُ الكلامِ، ويسمى علمَ التوحيدِ والصفاتِ والأفعالِ، وأصولُ هذا العلمِ الكتابُ والسنة، كما قال فخرُ الإسلام البَزْدَوِي - رحمه الله - في أوّلِ أصوله: «العلمُ -أيْ المنجي- عِلْمانِ: علمُ التوحيدِ والصفاتِ، وعلمُ الشرائع والأحكام، والأصل في الأول التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة الهوى والبدعة»، فعِلْمُ الكتاب والسنةِ أصولُ أصولِ الدين، ولا شك أنَّ أصلَهما العلومُ الكشفيةُ الغيبية اللَّدُنيَّة، أوالروحانية، أو المثالية، كما عُرِّف في موضعه، فهذه العلوم الكشفية أصولُ أصول أصول الدين، والله أعلم.

قال قدس الله سره: «**وهو فقه الله الأكبر، وشرع الله الأزهر، وبرهان الله الأظهر...**»، إلى قوله: «**وله ألقابٌ أُخَرُ**» أقول: هذا بيانٌ لأوصافِ هذا الكتابِ المتضمِّن قواعدَ علم السلوك والحقائق بعضُها باعتبارِ الأوَّلِ، وبعضُها باعتبارِ الثاني، فقوله: «**فقه الله الأكبر**» يحتملُ الاعتبارينِ، إمَّا لأن أبا حنيفة ﷺ سمى العقائد والحقائق بالفقه الأكبر لأنه بالنسبة إلى علم الشرائع، فسماه فقهًا أكبر اقتداء به لأنه حنفي المذهب - قدس الله سره - وإنما أضافه إلى الله لأن علمهم الكشفيَّ مأخوذٌ مِنْ إلقائه، ونسخة عمائه، لا مِن تعليم المعلِّمين، ولا من اجتهاد المفكِّرين.

وإمَّا لأنَّ الفقهَ لغةً هو العلمُ مطلقًا، والعلمُ بالله، وبالمنازل والمقامات الموصلة إليه أشرفُ العلومِ وأكبرها، كما أنَّ طريقة الكشفِ الصحيحِ الصريحِ اقتضى كونَه شَرْعًا - أي مشروعًا - أزهرَ - أي أنور- لأن الشرع في اللغة

البيان قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] أي أظهرَ وبيَّن، واقتضى - أيضًا - كونَه برهانًا - أيْ حجَّة - أظهر من كلِّ برهانٍ لما سيجئ أنه لا يأتيه الباطلُ من جوانبه، ولا يحومُ الشكُّ حول مراتبه.

قال: «**مثل نوره كمشكاة فيها المصباح، يشرق إشراقًا أنور من الإصباح**»، المراد من المثل الصفة والحال، أي حالُ نورِه، أي العلمُ المستفاد من هذا الكتاب، كحال نورِ مشكاةٍ مستفادٍ من المصباح، لأنَّ نور المشكاة كما يحصل من المصباح بواسطة الزجاجة وقوَّة زيت الشجرة المباركة اللاشرقية ولا الغربية، كذلك نورُ هذا الكتابِ وعلمُهُ حاصلٌ بواسطة زجاجة القلب المتوسط بين مصباح الروح القدسي المنوَّر بالنور الأسمائي الإلهي الفائض عليه، وبين مشكاة البدن المشتمل على شجرة النَّفْس القدسية المباركة، التي لها قوة استعدادها الفطري الأصلي بحيث يكاد يضيء البدن، ولو لم تمسه نارُ مصباح الروح القدسي، وقد يقع ذلك كما أشار - عليه السلام - بقوله: لي مع الله وقتٌ، لا يَسَعُني فيه نبيٌّ مرسلٌ، ولا مَلَكٌ مقرَّبٌ، وبقوله عليه السلام: حدثني قلبي عن ربي. (قال أبو الفضل القونوي: هذان حديثان لا أصل لهما).

لكن إذا انضَمَّ إلى نور فطرته نور الفيض الروحي أو الإلقاء السُّبُّوحي يكون نورًا على نور، وهذه النفس القدسية لا مِن مشرق الأرواح، ولا من مغرب الأشباح، فإن قلتَ: ما الفرق بين هذه النفس القدسية وبين القلب؟ قلتُ: النفسُ القدسيةُ هي المُزَكَّاةُ التي قال تعالى فيها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] أي بالاستقامة والثبات على قانون الشريعة، والروحُ القدسيُّ

جوهرٌ روحانيٌّ له فيضُ الكمالات على قوابلها، والقلبُ جوهرٌ له قواهما متقلِّب بينهما، و هما أصبعا الرحمن، والله أعلم !!.

والحاصلُ أنَّ عِلمه علمٌ كشفيٌّ غير ذاتي، مستفادٌ مِن علمٍ إلهي ذاتي، ولذا كان إشراقُه أنور من الإصباح لأن الحاصل بالإصباح نورٌ مستفادٌ من نورِ مخلوقٍ آخرَ محتاجٍ إلى الخالق المنوِّرِ المصوِّرِ بخلاف علمِ المكاشَفِ، ولأن العلمَ الكشفيَّ نورٌ استبصاريٌّ كليٌّ، ونورُ الإصباحِ إبصاريٌّ جزئي وشتانَ ما بينهما، والله أعلم.

قال: «**وهو جنان الحنان**»، إلى قوله: «**وأحسن مقيلًا**»، كل جملة من المعلومات الحقة الكلية الوهبية المستند فيضُها بواسطة مرتبة اسمية إلى الله تعالى جنةٌ روحانيةٌ، لهيئة جَمْعِيَّتِها، وصفاء غيبيَّتها، وترتب ثمراتها الجزئية عليها، فالأصولُ أشجارٌ، والفروعُ أغصانٌ، وثمرات المرتبة الاسمية عينٌ ومنبعٌ، وعلمُها الحاصلُ بالوهب والكشف أنهارٌ أربعةٌ: ماءٌ ولبنٌ وخمرٌ وعسلٌ، وطلبُها محبةٌ وعشقٌ، فمن عيون هذه الأنهار عينٌ لغايةِ صفاءِ مائها وسلاستِه تُسمَّى سَلْسَبيلا، ومزاجه كافورُ بَرْدِ اليقينِ في شهود الذات عند المستغرقين لقوة بر وبياض نورانيته - وهم المرادون بعباد الله المقربين الفانين المستغرقين في جنة الذات، وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] الآية...، وعند السالكين في المقامات الواصلين بقوة حرارة الشوق والطلب مزاجه زنجبيلٌ لبقاء بعض حرارة الشوق إلى إدراك المراتب الأسمائية المتعلقة بالأكملية، فهم بخلاف المجذوبين الفانين المستغرقين من حيث لا طلب فيهم لفنائهم، وبخلاف

المكاشَفِ الغير الواصل الذي يُسْقَى مَحْضَ ماءَ الزنجبيل فاعلم أنَّ العين للطائفتين واحدةٌ، وبين مرتبة الوصول إلى جنة الذات، والحصول في غيب الذات مراتبٌ، لكن فرقٌ بين المستَغْرِقين الفانين فيها والمتمكِّنين الطالبين بعد ذلك، فمراتب الأكملية، ووظائف تكميل الغير من حيث أولوية الثاني، قال بعض الأكابر: لا نهاية للمعلومات والمقدورات فما دام معلومٌ أو مقدورٌ فالشوقُ لا يَسْكُن والنقصُ لا يزول.

قال: «**والأبرار منه يأكلون ويشربون**»، أي العارفون ينتفعون بثمار هذا الكتاب وهي علومه الجزئية، والطالبون الأحرار - أي الخلَّص من رِقِّ الطبيعة وشَهَواتها - يفرحون منه بحصول بعض علومه، ويطربون بوصول بعض مقاماته بعد الشوق والطلب.

قال: «**وهو كنيل مصر**»، لما كان كتابه هذا خلاصةَ مقصودِ كتاب الله تعالى، وداعيًا إلى ما يدعو ذلك إليه وَصَفَهُ ببعض صفاته مثل قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦]، وكقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] أي لتعلم الحق ليعتقد بمعرفة الخير ليعمل فهو يجلو أحزان الجهل بهما ويكشف بالمبالغة والتكرار مقاصد القرآن من حيث هذان الأمران.

قال: «**وسَعَةُ الأرزاق**»، أي لأنه تطييب الأخلاق، وبتطييبِ الأخلاق تطهرُ النفسُ من مثالبها، وقد قال ﷺ لمن شكا الفقر والفاقة: دُمْ على الطهارة يُوَسَّع عليك الرزق. (قال أبو الفضل القونوي: هذا حديث باطل لا أصل له).

قال - وكُلُّ ذلك مكتوب -: «**بأيدي سَفَرةٍ كرام بررة**»، أي بإلهامات

الروحانيين، لأن ما حرَّرَه أو قرَّرَه الكاملُ لا يكون شيءٌ منه بالفِكر والتأمُّل و(...) التعمُّل، بل بالفيض الروحاني والإلهام الرباني، ولذا قال: «**لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين**»، ووَصَفَهُ بأوصاف القرآن إما لأنه معناهُ، وإما لأنه باتِّباعِه نَبْعٌ! مِنْ مَهيعِه، ونبع مِن منبعه، فأَخَذَ خاصِيَّة مُطْلِقِه ومُشرِّعِه !!

قال: «**وله ألقاب أُخَرُ لقَّبه الله تعالى**» أي فيما أَلهَمَه الله تعالى بالإلقاء السُّبُّوحي، أو النَّفْثِ الرُّوحي، ويحتملُ أن يريد بذلك ألقاب القرآن كالذكر الحكيم وغيره كما سبق وصفه ببعض أوصاف القرآن نظرًا إلى أنه محَصَّل معناه، و زبدة مؤدَّاه.

قال: «**والقليل يدل على الكثير**» أي بين جنسه وصفته وخاصيته كالجرعة والحفنة، و ذلك فيما نحن فيه، كل لقبٍّ يدل على حقيقة الحقائق لتُعتقد، أو خيرية الأعمال والمعاملات القَلْبِيَّة والقالَبية لتُسلك ويتوصَّل فيُوصل.

قال: «...»[1]، يمكن أن تُحمل **الغرائب** على التمثيلات والتشبيهات التي تُجرِي المعقول مجرى المحسوس ليساعدَ الوهمُ العقلَ، وتُحملَ **النوادر** على الحكايات الممثل بها، وتُحمل **غرر المقالات** أي أنورها وأوضحها على المعاني التي ذكرها في قوله: «**قليلة المباني، كثيرة المعاني**»، أخذًا من غُرَّة الفرس وهو البياض الذي في جبينه، وتُحمل **درر الدلالات** على الأدلة الحقة الواضحة المضمنة ما في هذا الكتاب تأنيسًا لعقول المحجوبين الضعيفة، وإن لم تكن إقامة

---

(١) فراغ في الأصل المخطوط.

الأدلة مُلزِمة في هذا العلم كما في القرآن والحديث إلا نادرًا تأسِّيًا بالمولى فإنه الأولى، ولذا وصفه بقوله: «**وطريقة الزهاد**»، لأنه يبين أن الوصول بالإعراض عن الأغراض، والتوجه إلى جناب الفياض، بالفناء عما سواه من الأعراض، فالكتاب الذي فيه هذه البيانات «**حديقة العباد**» لأنهم المنتفعون باجتناء ثماره، واقتباس أنواره.

قال: «**أمين القلوب والنُّهى**» جمعُ نُهية، وهي العقل، وذلك لاطلاعه على ما فيها و إلقاء الحق فيها ما أمكن.

قال: «**وديعته بين خليقته**» أيْ أودَعَه إياهم ليُرشِدَهم، ثم يجمعه إليه وإلى محَلِّ تَقْرِيبِه.

قال «**ووصاياه**» كأنه معطوف على البريَّة، أو المراد مخزن وصاياه وجامعها وذلك لأن كل كامل أوصى الله إليه أن يُظهر شرع نبيه، ويبين أسرار صفيه ذلك، ويحثُّ الطلاب على الجمع بين وظائف الإسلام الظاهرة شرعًا ووظائف الإيمان الباطنة روحًا وقلبًا، ووظائف الإحسان الاطلاعية سرًا تقيًا نقيًا.

قال: «**مفتاح خزائن العرش**»، لأنه يفتح للناس الحقائق العلوية المتعلقة بالروحانيات والمطلعات.

قال: «**أمين كنوز العرش**»، إذ كل ما يُبَيِّنُه من حقائق المُلْك السُّفْلِية المتعلقة بالمحسوسات حقٌّ صادقٌ فيه، فمَن حَوَى هذين الأمرين كان صدِّيقًا كإبراهيم وإدريس - عليهما السلام - ومريم ورابعة رضي الله عنهما فلذا وصفه بالصديق وكذا أباه وجده.

قال: «المنتسب إلى الشيخ المكرم» قيل: هو أبو الوفاء البغدادي.

قال: «نَسَبٌ» أي نسب عظيم ظاهر أي مشرق كالشمس «وحَسَب» فاخر زاهر كالنجوم.

قال: «الوُلاة» جَمْعُ والٍ وهو الحاكم، و«العُفاة» جمع عافٍ وهو السائل.

قال: «ذرَّ شارقٌ» أي طلع طالع. قال: «ليكون» أي الشيخ الموصوف حسام الدين ﷺ «معتصَمًا» بفتح الصاد أيْ قُدوة متمَسَّكًا ومرشدًا لطلاب الربِّ تعالى. والرَّبَّانيُّ الشديدُ التمسك بدين الله تعالى، ويمكن أن يرجع الضمير في ليكون إلى كتاب المثنوي والأول أقرب لفظًا والثاني أنسب معنى وسياقًا، والله أعلم، والباقي ظاهرٌ، والحمدُ لِوَلِيِّهِ»[١]. انتهى كلام الفَنَاري.

والمسلم يتذكر في هذا الموضع قول الله ﷻ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة، ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام، ٩٣].

ثم يقال: ألم يتوقف مادحو الرومي عند قراءة مقدمة المثنوي مفكرين كَمْ بين مادح نفسه هذا وبين الذي قال: «أقول فيها برأيي فإن يك صوابًا فمن الله

---

(١) شرح ديباجة المثنوي، الورقة ١١٣، ١١٤، وهو بين كتابين للفناري اسم الأول (مصباح الأنس في شرح مفتاح الغيب) والآخر (الأسرار الإلهية المرتبة على ألف مقام من المقامات التي بين العبد والرب) وتاريخ النسخ سنة ٨٢٣هـ، مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان» ؟! إذ لم يروا ادعاءه الصريح أن كتابه من بعض كتب الله تعالى، المنزلة بعد نزول القرآن آخرها، وأن هذا الشاعر الفارسي نبي بُعثَ بعد مبعثِ خاتم النبيين محمد ﷺ ؟ ألا إنَّ من لم يفهم ذلك من المقدمة، ومن شرح الفناري لها، فهو أحد رجلين: إما جاهل بالعربية يقرأ حروفها ولا يدري من معاني كلماتها شيئًا، أو هو ممن يفهمها ولكنه ممن طبع الله على قلبه، فالحقائق عنده لا تكسب وصفها إلا أن يأذن المخذول أن تكون حقائق، فرعوني العناد، للعاقل المسلم أن يقسم بكل قسم مشروع بين الركن والمقام أنه من الذين قال الله تعالى في أمثاله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤][١].

وانظروا إلى الكذبة الصَّلْعاء في قوله: «وله ألقابٌ أُخَرُ لَقَبَّهُ اللهُ تعالى بها» رجل قال: إن الله سمى أبيات شعره بأسماء عديدة، ثم يَستَكْثِرُ ذِكْرَها في مقدِّمتِه !! بَيْنَا يستطرد في مديح غلامه وخليفته حسام الدين جلبي بأنواع الشرك وما اختصَرَ مِن غُلوِّه فيها، بل قال: «اجتهدتُ في تطويل المنظوم المثنوي، المشتمل على الغرائب والنوادر وغرر المقالات، ودرر الدلالات، وطريقة الزهاد، وحديقة العباد، قصيرة المباني، كثيرة المعاني، لاستدعاء سيدي وسندي، ومعتمدي، ومكان الروح من جسدي، وذخيرة يومي وغدي، وهو الشيخ

---

(١) لقد كتب صوفية الأمس واليوم شروحًا للمثنوي ومقدمته، وضمنوها كلامًا إن وقف عليه المسلم المثقف في أيامنا تعوذ بالله من التصوف كله، ولم يكن ما كتبه صوفية اليوم مختلفًا عمَّا سبقهم إليه سلفهم، قاسمهما المشترك التأكيد على ضلال (مولاهم)، وإنك - أيها المسلم - تفهم كلام الرومي كما فهمه الصوفية، ولتسكُتْ أفواه لا تزال تردد إلى يومنا هذا دون حياء من الله أو من عباده: كلامُ (مولانا) لا يفهمه كل إنسان، إن له حِكَمًا ومعاني وراء فَهْم البَشَر !!.

قدوة العارفين، وإمام أهل الهدى واليقين، مغيث الورى، أمين القلوب والنهى، وديعة الله بين خليقته، وصفوته في بريته، ووصاياه لنبيه، وخباياه عند صفيه، مفتاح خزائن العرش، أمين كنوز الفرش، أبو الفضائل حسام الحق والدين: حسن بن محمد بن الحسن المعروف بابن أخي ترك، أبو زيد الوقت، جنيد الزمان، صِدِّيقٌ ابنُ صديقٍ، ابن صديق، رضي الله عنه وعنهم، الأرموي الأصل، المنتسب إلى الشيخ المكرم بما قال: «أمسيتُ كرديًا، وأصبحتُ عربيًا»، قدَّس الله روحه وأرواح أخلافه، فنعم السلف ونعم الخلف، له نسبٌ ألقَتِ الشمسُ عليه رداءها، وحسَبٌ أرْخَتِ النجوم إليه أضواءها، لم يزل فناؤهم قِبْلة الإقبال يتوجَّهُ إليها بنو الولاة، وكعبة الآمال يطوف بها وفود العفاة».

مثل هذه العبارات إذا سطرها رجل في مقدمة كتابه فإنها كافية لإسقاط ذلك الكتاب ومؤلفه، وإذْ ظلَّ هذا الكتاب مقدَّسًا متَّبعًا إلى يوم الناس هذا، فذلك داع قويٌ لوصال التحذير منه ومن مؤلفه.

وعجبًا لقوم يقرؤون هذه المقدمة وهم يؤمنون بأركان الإيمان الستة في الإسلام - وبخاصة الأتراك - الذين تفَنَّنَ خطاطوهم في كتابتها، ثم لا يرون تضادها مع أركان إيمانهم. ألا يتأملون قول (جلال) في (حسام): «لاستدعاء سيدي، وسندي، ومعتمدي، ومكان الروح من جسدي، وذخيرة يومي وغدي، وهو الشيخ قدوة العارفين، وإمام الهدى واليقين، مغيث الورى، أمين القلوب والنهى، وديعة الله بين خليقته، وصفوته في بريته، ووصاياه - لنبيِّه -، وخباياه عند صفيِّه، مفتاح خزائن العرش...».

وكذا فليتأملوا قوله: «ووصاياه لنبيه»، مع رواية أوردها الأفلاكي في كتابه وهي قول الرومي مخاطبًا (حسامه) مستقبلًا إياه: مرحبًا يا روحي، وإيماني، وجُنيدي، ونوري، وسيدي، ويا حبَّ الله، ومعشوق الأنبياء»، فالمقصود بـ(نبيِّه) في المقدمة و(الأنبياء) في هذه الرواية، جلال الدين الرومي، واستخدامه صيغة الجمع تعني أن من كان معشوق نبيّ واحد كان معشوق جميعهم، ومن زعم غير ذلك، فقد اتَّهمَ معشوقه الرومي بالحمق أو الجنون، إذ يكون المعنى في الأول: «ووصاياه لنبيه محمدٍ ﷺ»، وفي الآخر: «ومعشوق الأنبياء مثل: نوحٍ، وإبراهيم، وموسى...»!!

واضحٌ أنه كان يعني نفسَه، لكنه عبَّر تعبيرًا ترك به لنفسه خطَّ رجعةٍ يتدارك به مُهجته لو تغيرتِ الحالُ السياسية في البلاد، فتحرَّز من التصريح الملزم بادعاء النبوة، خوفًا من سيف الشريعة الذي قطَّع أعناق أشباهه من الطامعين في النبوة قبله، وما يُشكُّ أنه سمع في شبابه بخبر إعدام الصوفي التركماني: (بابا إسحاق) وعَرْض أتباعِه على السيف، الذين كانوا يقولون في المعْتَرَكِ حين تَبلغُ القلوبُ الحناجرَ: لا إله إلا الله بابا رسول الله[1] فقاتلهم المسلمون، وكذلك لا يُشك - أيضًا - بمعرفته بالحادثة التي أهاجتِ المسلمينَ في قونية على عشيقه الشمس التبريزي حين سمعوا مريدًا له لقيه في السوق، فصاحَ بِجَهِيرِ صوتِه: أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن شمس الدين التبريزي رسول الله، وركع له، (أنت ترى كيف جمع له النبوة والإلهية !!) فكانت غضبة

(١) في بعض المصادر العربية: (البابا ولي الله) انظر تاريخ الإسلام للذهبي، وفيات سنة ٦٣٨هـ.

المسلمين يومذاك وثورتهم على المريد، وإرادة التنكيل به داعيًا قويًا لتحرُّز الجلال في التصريح بلفظ النبوة لنفسه[١].

أيها المسلمُ :

قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩٣]. أترى فرقًا بين قول القائل: (أُوحِيَ إليَّ)، وبين قوله: (أُنزِلَ عليَّ) كما كتب ذلك الرومي في مقدمة مثنويه ؟ ألا تقرأ أيها المطلع على المثنوي أن ناظمه أراد القول:إنه قد تنزَّلَ عليه وحي كما تنزل الوحي على النبي ﷺ، إلا أنَّ المنزل على الرومي كان نظمًا مثنويًا فارسيًا، ويمكن اختصار معنى مراده بالقول: إن أبيات مثنويي وحيٌ من الله !! (و في ثنايا المثنوي تصريح لا مجاز فيه بذلك) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا !!

إنني لا أعلم شارحًا من شُرَّاح المثنوي المعروفين، قدمائهم والمعاصرين، مَن يَدْفَعُ المفهومَ الظاهرَ من كلام (مُسَيْلمة الفُرْسِ) هذا في مقدمته المذكورة، فيقول مثلًا: أيها الناسُ، لا تفهموا من هذه المقدمة ظاهر معاني كلماتها، فإن (مولانا جلال الدين) بريءٌ مِن أن يدعي لنفسه النبوة، ولكتابه العِصمة كالقرآن، بل قرأتُ عكس ذلك مما هو فهمٌ صحيحٌ للكلام المكتوب، واستنتاجٌ لاعتقاد الرومي في نفسه، ذلك الاعتقاد الوارد في كتبه وكتب أتباعه، وإنَّ في بقية الرواية التي أشرتُ إليها آنفًا تجليةً للأمر ما مثلها تجلية - إلا كلمات لابن

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي ٢/ ٧٠.

عربي - أما بقية الرواية السابقة، ففيها أن التبريزي حمى ذلك المريد الذي صرَخَ في السوق بمعتَقَدِه، وأنه رَدَّ عنه المسلمين الغاضبين، وأنه أخذ بيد المريد حين تفرق الناس، وأسرَّ له بسرٍّ تكاتمه الصوفية عن (المحجُوبين) في كل عصرٍ ومصر، لأنه من أسرارهم، وهو مثال لتلاعبهم بالألفاظ، قال التبريزي لمريده: اسمي أنا محمد، فكان عليك أن تقول: محمد رسول الله، لا يعرف الناس دينارًا غير مختوم !!. فهل بعد هذا البيانِ بيانٌ، وبعد هذه التجليةِ تجليةٌ يا ناس ؟

وأما كلمات ابن عربي فكثيرة من ذلك قوله: «... ولا نقول: النبي، إلا بتقييد واشتراط - كما تقدم - شرعًا، فإن اللفظ يُلقِي في نفس الإنسان شيئًا ما»!![1].

أنبوةٌ بعد خاتم الأنبياء محمد ﷺ ؟ أكتاب منزلٌ بعد القرآن؟

أمَّا جوابُ المسلم فلا، يَجْهَر بها مِلء فيه وقلبه: لا نبيَّ بعد محمد ﷺ، ولا كتاب وحي بعد القرآن، وأما كبار الصوفية فاقرأ جوابهم من قلم ابن عربي، قال: «فإن قيل لك: كيف هذا ؟ ولا وحي بعد رسول الله ﷺ، وأنت تدعى خطابًا وكتابًا منزلًا، فادَّعيتَ النبوة بلسان الحال، وهو أبلغ من لسان المقال، فقل له: إن كان انقطعَ نزولُ جبريل عليه السلام فما انقطع عن صدور الأولياء الإلهامُ !!»[2]، و لقد رأيتُ في (قونية) قبل سنوات، في مكتبة (يوسف أغا) ما

(١) انظر كتاب المشاهد والمطالع، مخطوطة لابن عربي، الورقة ٣٨.

(٢) المشاهد والمطالع، الورقة ٣٨، وقد تعجب لتسليط الضوء على ادعائه النبوة، والحال أنه ادعى الألوهية، وهي كافية لطرحه كل مطرح، قلت: نعم هو نبيهم ومعبودهم، وأنا إنما أجمع لك ما جاء في المصادر، ولقد كان من اعتقاد كثير من المسلمين الأتراك حتى وقت قريب أنهم كانوا يعدون حَجَّ

يؤكدُ قبولهم هذا المبدأ، ويوضح مفهوم كلام ابن عربي، وعقيدة الصوفية في المثنوي، رأيت في هذه المكتبة، نسخة من نسخ المثنوي، (رقمها: ٥٥٤٧)، مكتوب على غلافها ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٩ - ٨٠].

ولا يُنتظَرُ ممن يَرَى نفسَه في مرتبة النبوة، ويراه أتباعه كذلك، أن يستعمل صريح العبارة فيقول: (أنا نبي) فإنه لا حاجة له إلى اللفظة وهو يرى نفسه متمتعًا بمعانيها، قد أُوتِيَتْ - بزعمه - كل ما أوتيه الرسل والأنبياء، بل يرفعها فوقهم حين ادعي أن وحيه المنزل لم يأْتِهِ به سيد الملائكة جبريل عليه السلام ولكنه إلقاء الله تعالى على قلبه، وليس إقراره بالرسول ﷺ خاتمًا للنبوة والأنبياء، وحَمْلُه على مَنِ ادَّعاها من الكذابين قبله بكبير شيء، ذلك أن مَنْ أثبتَ شيئًا في المعنى ثمّ نفاهُ باللفظ لم يُغْنِ عنه نَفْيُه شيئًا، وهذا مِنْ دَيْدَنِ الصوفية في تلاعبهم بالألفاظ، فإنهم يقولون عن الله ﷻ: الله كائنٌ في كل شيء بذاته، فإذا اعترَضَ معترضٌ على فاحش مقتضى هذا القول، كان أهون ما عندهم القول: هو في كل شيء، ولكنه ليس كالشيء في الشيء !! وكذا الحال عند الصوفية تجاه دعوى الرومي النبوة، فإنه لو سألهم سائل: أكان الجلال الرومي نبيًا ؟ لحَوْقَلُوا واستغضبوا، ولأنكروا ذلك، ولقالوا: محمد خاتم النبيين، ولكن لا يتمَعَّر لأحدهم وجههُ لما قاله في مقدمة مثنويِّه وغيره من ادعاء النبوة، ولا يتنبهون

=

مَنْ حَجَّ منهم ولم يزر الرومي في قبره ناقصًا، وكم هي المعتقدات المسطورة في المصادر عن المثنوي وصاحبه التي يتهرب المعاصرون من أحبابه عن الكلام عليها، فربما صارت حديثَ الناسِ، وينكشف المستور، فينفضوا من حول قبره (الوثن)، ويؤثر ذلك في اقتصاد البلد!!.

لجُرأته الخرقاء التي أعقب بها دعوى تنزيل المثنوي عليه بوَصْفٍ لغلامه (حسام الدين جلبي) رَفَعَه به في المرتبة عن مرتبة صدِّيق هذه الأمة أبي بكر رضوان الله عليه، حين قال عن (حسام الدين) إنه: صِدِّيقٌ ابن صِدِّيقٍ ابن صِدِّيقٍ، كالذي يقول: تلكَ رُتبة نُبُوَّتي وهذه رتبة صاحبي فهو صدِّيقٌ عريقٌ في الصدِّيقيَّةِ!!. وإنَّ مما عَمِيتْ أبصارهم عنه قوله في بيتين له في غير كتابه المثنوي، نقلهما مؤرخ المولوية عبد الباقي كولبينارلي:

«اليوم أنا أحمد، وليس أحمد الأمس...» وقوله: «قد فتحوا الخزانة، فليلبَس الجميعُ الخِلَعَ، قد عاد المصطفى ثانية، فليؤمِن الجميع...»[١].

❊ ❊ ❊

(١) (مولانا جلال الدين) لعبد الباقي كولبينارلي ص ٣٠٢.

من اعتقاد المعاصرين في المثنوي :

قال طاهرٌ المولويُّ[١]: «... وقد استخرجَ شُرَّاحُ المثنوي مما يَعْنِيهِ اسمُ كتاب المثنوي في اللغة، نُكتة لطيفة، إذ إنَّ مما يُعلم أنَّ المثنوي في اللغة: ما ثُنِّي، ولذلك قيلَ لسورةِ الفاتحةِ أيضًا (السبع المثاني) لكونها سبع آيات، ولنزولها مرتين، ويقال لها أيضًا: (سورة المثاني) لتكرار قراءتها في الصلاة مرةً بعد مرةٍ.

وثَمَّ إشارةٌ - أيضًا - إلى احتواء أبيات المثنوي الشريف، من معاني الأشياء المتضادة (مثاني) تَشْهَدُها في أبياتها، من المحسوساتِ إلى المعقولات...»[٢]. وقد أراد بعضهم إيجاد «تعلُّق ومناسبة بالكلمة القرآنية: المثاني...»[٣]!!

وغنيٌّ عن القول: إنَّ احتواءَ المثنوي على معاني الأشياء المتضادةِ أمرٌ مشاهدٌ لكلِّ مَن طالعه، فإنّ فيه بعضَ معاني آيات القرآن الكريم، وبعض أحاديث المصطفى ﷺ الصحيحة[٤]، و معاني أضدادهما من عقائد الاتحادية والحلولية، كما أنَّ فيه من معاني محمود الأخلاق ما طَمَسَتْه معاني (المحسوسات) من سُفْلِيِّ العبارات، في سياق قصص الخنا الفاضح الذي سترى نماذج له فيما يلي، وهذا التضادُّ مَثْلَبَةٌ فيه لا منقبة.

---

(١) اسم هذا المولوي (طاهر أولغون) له شرح للمثنوي بالتركية لم يكمله، وأكمله غلام له اسمه (شفيق جان)، وإنَّ في شرحه وكتبه الأخرى ما ينقض طُهْرَ عقيدة دينِ المسلم، لذا أنبه الإسلاميين في تركيا بالقول: إنه (طاهر) ولكنَّ طُهْرَه (مولوي) !!.

(٢) (شرح المثنوي) لطاهر المولوي (١/ ٢٤).

(٣) (من أوقيانوس حضرة مولانا)، لجلال الدين باقر جلبي: (١٨٧- ١٩٠).

(٤) وفيه الكثير من المكذوب الموضوع، وما لا أصل له.

ولا يزال المولوية حَتَّى اليوم يُوازِنون بينَ آياتٍ مِن كتاب الله تعالى القرآن، وأبياتٍ من شعر الرومي بصُوَر شتَّى، فمن ذلك أنهم يرَوْن أن إنكار المسلمين كون المثنوي كتابًا منزلًا، و وَسْمهم له بمنظومة مطوَّلة لأساطير الأوَّلين، ومنتخبات من قصص (كليلة ودمنة) يرون ذلك مزيةً من المزايا الإلهية للمثنوي وصاحبه إذْنالَهُ مانالَ القرآنَ ونبيَّه ﷺ من سِباب مُنكِرَيْهما!! وإنْ كنتَ في رَيْب مما أقول فانظر بماذا خَتَمَ عبد الباقي كولبينارلي نهاية تعليقاته على ترجمة المولوي (ولد جلبي إيزبوداق) للمثنوي، كَتَبَ هذه العبارة بالفارسية، وإنها لَتُفْهَمُ بغيرِ ترجمة إلى العربية: «ترجمهء مثنويِّ حق».

وإليكَ بعضَ مَنظومِهم بالتركية في مدح الروميِّ ومثنويِّه :

قال (فريد كامْ) وهو من كبار وجودية الترك في القرن الهجري المنصرم :

يكانه شمس خدادر جناب (مولانا)

خلوص قلب ايله قل انتساب (مولانا)

طريق عشق حقيقيده رهبرك اولسون

كتاب بنجم حقدر كتاب (مولانا). ويعنى:

شمسُ الله الوحيــدةُ (جناب مولانا)

فانتسبْ بخُلوص قلـــب إلى (مولانا)

اتَّخِذْه دليلَكَ في طريق العشق الحقيقى

فالكتاب الحقُّ الخامس كتاب (مولانا) !!

وقال (بهجت كشفى أقْ كُونَشْ) وهو يخاطب (مَوْلاهُ):

مثنويــك كلام اللهدر حال أهلنـــه

قدرت إعجاز ايله قرآنى تطمين أيلدك

ويعنى :

إنَّ مثنويَّكَ عند أهل الحالِ كلامُ الله

ولقد طَمأنْتَ بقُدْرَةِ إعجازِكَ القرآنَ!!

وقال (توفيق نَوْزات جاداش) :

هانكى يلديز أوغراميشدر أرضه (مولانا) كبي؟

بولماق ايسته رسك اكـر دار و ديــار سرمــدي

رهبر أولسون مثنوي معــراج ايستغنــاء كـبى

(عشق مولانا فلكلردن ده يوكسكــدر) ديــدم

آسماندن كلدي سـس كلبانــك (آمنـا) كبـى

ويعنى :

أيُّ نـجـم مَـرَّ عــلى الأرض مثــل (مــولانا)؟

إن أردتَ وجــدان الــديـار السرمــديـــة

فــاعــرج إليها جاعلًا الـمثـنـوي مـرشـــدكَ

هَتَفْتُ: إن عشق (مولانا) أعــلى مـــن الأفــلاك

فجاءتنى أصوات من السماء كأنها تُنشد قائلة: آمَنَّا

وقال طاهر المولوي :

سرابا نطقى إلهام خدا آيات مـــولانـــا

ده كلمى مثنوي أك روشنا آيات مولانا[١].

ويعنى :

إن جميع كلام (مولانا) إلهامٌ مِنَ الله

أليس المثنوي أظهر وأنور آياتِه ؟

وقال (كمال أديب كُوركْجِي أُوغْلُو) :

مثنوي دَر كتاب بَنْجَم حق

خامـه در جبرئيـل مولانـا

ويعنى :

إنَّ مثنوي (مولانا) خامسُ كُتُبِ الله، كان جِبرِيلُه قلَمَه[٢].

لم يأتِ وصفُ هؤلاء الغلاة كتاب المثنوي بأنه الكتاب الخامس من كتب الله تعالى المنزلة على رُسُله، يَعْنونَ التوراةَ والزبور والإنجيل والقرآن، لم يأتِ مِنْ فراغ، فجلالٌ الرومي عندهم نبيٌّ، مع وقف التَّلَفُّظ بعبارة نبي في حقِّه احترامًا للشريعة بزعمهم!!، والمثنوي وحي كسابق وحي الله تعالى لرسله، وليس هذا

---

(١) (مولانا في أدبياتنا)، ص ٧٧، ٨٧، ٨٤، ٧٨.

(٢) كتبها هذا الشاعر المخذول عاشق الرومي وعابده سنة ١٣٦٩هـ في أنقرة، ووضعها في مكتبة (مولاه) في قونية مهوى قلوب المولوية وغيرهم، وقد أنشدنيه المؤرخ الدكتور(ميكائيل بايرام)، قذى عيونِ المولوية، في المكتبة المركزية للمخطوطات في (قونية)، سنة ١٤٢٧هـ. ثم نشَرَتْه امرأةٌ دكتورة عاشقة للرومي في كتاب لها سمَّتْه (في ظلال القُبَّة الخضراء) ص ١٥٢، وتعني بالقبة الخضراء القبة المخروطية التي بُنِيَتْ فوقَ جَدَث الرومي وذويه.

مما تفرَّدَ به المولوية مِنْ طُرق التصوف فحسب، فهذا كبير أقطاب النقشبنديين (الملَّا الجامي) يُظْهِرُ معتَقَدَ طوائف كثيرة من الطُّرُقية في المثنوي بقوله في نَظْمٍ له منه قوله : (نيست بيغمبر ولي دارد كتاب) قال: إنه ليس نبيًا، ولكنه أُوتي كتابًا، ثمَّ وصفه بالقرآن الفارسي:

مثنوى معنوى مولوى هست قرآن در زبان بهلوى[1]

وقال شاه عبد الرحمن اللكنوي: «إنه يُمكِنُ بعد معرفتنا أنْ لا فرقَ بينَ القرآن العظيم الشأن وبينَ المثنوي الشريفِ سوى العربية والفارسية، إثباتُ ذلكَ بعشرةِ وُجُوهٍ :

الوجه الأول: أنَّ القرآن الكريمَ - بأي لسانٍ كانَ - هو الكلام المنزل من الحقِّ تعالى على قلب البشر، فإنْ كانَ نزوله بواسطةِ ملَكٍ، وبطَوْر الوحى، فذاكَ الكلامُ النَّفْسِي المفروض القراءة، وإنْ كانَ بغيرِ واسطةِ ملَكٍ، وبطورِ الإلقاء والإلهام، فذاكَ الكلامُ القدسيُّ الواجب الإيمان به، ولكن لا يجوز قراءته في الصلاة. وإذْ كانتْ مَضَامِينُ المثنوي المعنوي مُنَزَّلَةً بالوجه الثاني - لا الأول - مِنْ جَناب الحقِّ تعالى على القلبِ الشريفِ، قلبِ نبيٍّ وَقْتِهِ جناب مولانا... إلخ[2].

---

(١) أنشدني ميكائيل بايرام في (قونية) في شتاء سنة ١٤٢٦هـ في المكتبة المركزية للمخطوطات أيضًا بيتًا قال لي إنه نظمه وهو في الطريق إلى المكتبة يرد به على البيت السابق :

قائل اين قول هست از ابلهان

نيست از ين ابلهترى اندر جهان

ويعني: قائل هذا القول مِنَ البُلْه، ويندر أن تجد في الدنيا أحمق منه.

(٢) شرح المثنوي، لأحمد عوني قونوق ١/ ٣.

وللذين يظنون أن هذا الغلو في تعظيم المثنوي صادرٌ مِنْ أغْمارِ الأتباع أنقلُ لهم هذه الروايات التي تُبَيِّن خطأهم، ولا تترك مجالًا لمعترض يُورِد المشاغبات إذا نَصَحَه ناصحٌ يومًا. قال شمس الدين أحمد الأفلاكي: «سأل كُتَّابُ المثنوي وحُفَّاظُهُ ذات يوم مولانا: هل تتفاضل أجزاء المثنوي فيَفْضُلُ بعضها بعضًا ؟ فأجاب مولانا قائلًا: يَفْضُلُ جزءُ المثنوي الثاني، جزأَه الأولَ كما تفضلُ السماءُ الثانيةُ الأولى، ويفضل ثالثُه ثانِيَه كما تفضل السماء الثالثةُ الثانيَةَ، ويفضل خامسه رابعه كما تفضل السماء الخامسة الرابعة، ويفضل سادسه خامسه كما تفضل السماء السادسة الخامسة، ألا ترون أن عالم الجبروت يفضل الملكوت، وهكذا التفاضل في تلك العوالم يَطُول ويطول»[1].

فتَوَارَثَ الصوفيةُ هذا التقديسَ للمثنوي بكلِّ أجزائه فكان الأعاجمُ منهم إذا انْتَابَهُم غَمٌّ وأرادوا ذَهابَه يَمَّمُوا وجوهَهُم نحوَه فيقرؤنه في خشوع تَعَبُّدِي، حَتَّى إنَّ أحدَهم قال: «سأعالجُ قلبي بقراءة نحوِ ورقتين مِنْ كتاب المثنوي الشريف لمولانا جلال الدين القونوي قُدِّسَ سِرُّه وأُذْهِب ظُلمته إن كانت بما يحصل لي من الأنوار حال قراءته»[2] وكان مما قال إسماعيل الأنقروي في مقدمة الجزء السابع المنسوب إلى الرومي: «الحمد لله الذي جعل المثنوي الإلهي الرباني مثل السماوات السبع سبعَ طبقات، وصَيَّر أبياته المنيرة المضيئة...» إلخ[3].

---

(١) الأفلاكي ١/ ٦٨٦، وقد قرأت في العدد ١٥١ من مجلة (الثقافة) سنة ١٣٦٠هـ مقالة عن الرومي كتبها محمد خلف الله، نقل فيها عن المستشرق (براون) وصفه كتاب الأفلاكي بأنه أحسن ترجمة مفصلة لحياة الرومي. ولقد صدق، إذْ هو كاشف حقيقة شخصيته.

(٢) روح المعاني، للآلوسي (٢٨/ ٣٥).

(٣) مخطوطة مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة.

قال أبو الفضل القونوي: إنَّ مِنْ خِذْلانِ الله تعالى للجلال الرومي الذي ضربَ الأمثال لتقديس مثنويِّهِ بالمفاضلة بين السموات أن تكون بَيِّنَةُ ضلاله في عكسِ مثالِهِ، فكان أفحشَ ما كان لسانًا في جزءيه الأخيرين!!.

والحقُّ أنَّ ما سبق من أقوال الصوفية نتاج طبيعى لضلَّةِ المتكلمين من الماتريدية والأشاعرة فيما اعتقدوه من صفة الكلام الإلهى، كما تقدم في التمهيد الإشارة إلى ذلك فإن خرافتهم عن: الكلام النفسى، والمعنى الواحد لجميع كلام الله ﷻ، حين أُضِيفَتْ إليها خرافة الوجود الواحد، الذي عبَّر شيخهم الأكبر عن دستورهم فيه بقوله:

وكلُّ كلام في الوجود كلامُه سـواء علينـا نَثْرُه ونِظامُه

كل ذلك سَهَّلَ على الصوفية قبول وصف المثنوي بالوحي، وناظمه بالنبوة، ولا بدَّ أن هؤلاء المادحين قد طالعوا مصادر ترجمة حياة الرومى، حيث التصريح مِن قِبل الرومى بها إن لم يكن فيه تعبير (قرآن الفارسية)، أو (خامس الكتب السماوية) إن معناهما ولازمهما لوفير فيها، قال الأفلاكى: «ومِنَ المنقول - أيضًا - قال (سلطان ولد) يومًا: اشتكى أحدُ الأحباب إلى أبي (يعنى الجلال الرومى) قائلاً: جادَلَنِي الفقهاءُ بقولهم: لِمَ يَصفُ (مولانا) المثنويَّ بالقرآن؟ فقال عَبْدُكم هذا في جوابي لهم: ذلكَ لأَنَّهُ تفسيرٌ للقرآنِ. فلما سَمِعَ أبي هذا سَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قال: أيُها الكلبُ! لِمَ لا يكونُ قرآنًا؟ أيُّها الحمارُ! لِمَ لا يكونُ قرآنًا؟ أيا أخا القَحْبَةِ! لِمَ لا يكونُ قرآنًا؟ وما في أحرفِ وكلماتِ الأنبياءِ والأولياء شيءٌ سوى أنوار الأسرار الإلهية!

إنَّ الكلام لفي الفُؤادِ وإنما جُعِلَ اللسانُ على الكلامِ دَلِيلا

سواءٌ أكان بالسُّريانية، أو كان بالسَّبْع المثاني، أو كان بالعِبرانية، أو كان بالعربيةِ!!»[١] وقد جمعت من أمثال هذه الرواية في (أخبار جلال الدين الرومي) روايات عدة تدل على معتقدهم في المثنوي وناظمه.

سامح الله عبد الوهاب عزّام باشا (ت١٣٧٨هـ)، الذي أَسهمَ في غشِّ قرّائه مِنَ العرب مع مَن أسهم حين ترجم الأبيات (الجلالية) المثنوية التي لا يَظْهَر نُكْرها، والتي هي ترجمة حقائق عامة. ليت أنه استيقظَتْ فيه غيرة للدِّين الصحيح، حين قرأ ادعاءات الرومي للنبوة في مقدمة مثنويِّه أو أعلن تَقَزُّزه من أبياته الهابطة جنسيًا فيه، استيقاظها حين قرأ بيتًا لابن الجلال الرومي، (سلطان ولد) قاله في قبر أبيه: (**يك طواف مرقد سلطان مولانا ي ما هفت هزار وهفصد وهفتاد حج أكبر ست**) ومعناه بالعربية، كما ترجمه عزّام باشا، مستنكرًا إيَّاه: (طوفةٌ بمرقد مولانا، سبعة آلاف وسبعمئة وسبعون حجًا أكبر)!![٢].

❋ ❋ ❋

(١) مناقب العارفين ١/ ٤٩٠، قلت: بما أنه ذكر بالعربيةَ فما يُظنُّ أنه يريد بالسبع المثاني إلا الفارسية لسان مثنويه.

(٢) رحلات، (ص ٣٠٤، مطبعة الرسالة ١٣٧٠هـ).

أبياتٌ سَمجة نَظَمَها الروميُّ بالعربية :

يُلْحَظُ في أتباع الرومي ممن أتقن الفارسية والعربية أنهم لا يُعَرِّجون في بحوثهم عنه على الكلام على البَوْن الشاسع بينَ عربيِّ نظْمِه، وفارسيِّه، أعني مِن جهة بُرودة أبياتِه بالعربية، وقوَّتها بالفارسية، وإليكَ جُملة منها فتحمَّلْ قراءتَها، قال:

غُـرَّةُ المسكَنْ أحـاذرهـا أنا ... انقـلي يا نفسُ سـافرْ للغِـنا

لا أعـوِّدْ خلقَ قلبي بالمكان ... كي يكون خالصًا بالامتحانْ

وقوله:

النبـــيُّ قـــدْ ركـــب معروريـــا ... النبـــيُّ قيـــلَ: ســـافرَ ماشـــيا

كيف يغفـل عـن ظَعِـين قد غـدا ... مـــن يُعـــاين أيـــن مثـــواه غـــدا

أيـــنما قـــد هـــبط أو صـــعدا ... قـــد تـــولاه و أحـــصى عـــددا

عُـجْ إلى القلـب وسِرْ يـا ساريه ... فيـــه أشـــجار وعـــين جاريـــه

اطلبـوا الأرزاق مـن أسـبابـها ... وادخلـوا الأوطـان مـن أبوابها

وادخلـوا الأبيـات مـن أبوابهـا ... واطلبـوا الأغـراض في أسبابها(١)

كـل إصـباح لنـا شـأن جديـد ... كـل شيء عـن مـرادي لا يحيـد(٢)

وقال :

الـشقي مَـنْ شـقي في بطـنِ الأم ... مِنْ سماتِ الجسم يُعرف حالهم(٣)

---

(١) المثنوي ١/ ١٦٢٩.

(٢) المثنوي (٣/ ١٩٢١، ٧٢٤، ٤٨٣، ٥١٨).

(٣) المثنوي ١/ ٣٥١٢.

وقال:

إنَّ في الجـوعِ طعامًـا وافـرا افتقـدْها وارتَـجِ يـا نـافرا
اغتَـذِ بـالنورِ كُـنْ مثـلَ البَـصَرْ وافِـقِ الأمـلاكَ يـاخيرَ البـشَرْ(١)

وقال:

هكـذا نَبْلـوهُم بالـساهرَهْ فتنـةٌ ذاتُ افتـضاحٍ قـاهرَهْ(٢)

وقال:

إنّ شـيئًا كلّـهُ لا يـدركُ اعلمـوا أن كلّـه لا يـتْرَكُ(٣)

وقال:

حبـذا أرواحُ إخـوانٍ ثقـات مـسلماتٍ مؤمنـات قانتـاتْ(٤)

وقال:

يـا مجـير العقـلِ فتّـانَ الحِجـا مـا سـواكَ للعقـولِ مُرتجـى
مـا اشـتهيتُ العقـلَ مـذْ جَنَّنْتَنـي مـا حـسدتُ الحسن مـذْ زَيَّنتِنـي
هـلْ جنـوني في هـواك مـستطابْ قل: بلى، واللهُ يجزيكَ الـصوابْ(٥)

وقال:

كيـفَ يـأتي الـنظمُ لي والقافيـهْ بعـدما ضـاعتْ أصـولُ العافيـهْ
مـا جنـونٌ واحـدٌ لي في الـشُّجُونْ بـلْ جنـونٌ في جنـونٍ في جنـونْ
ذابَ جسمي من إشاراتِ الكُنَى مُنـذُ عانيـتُ البقـاءَ في الفَنـا(٦)

---

(١) المثنوي (٥/ ٢٩٧)، يعني بخير البشر: عشيقه (حسام) جلبي.
(٢) المثنوي (٥/ ٣٣٥) من ترجمة د. إبراهيم شتا.
(٣) المثنوي (٥/ ١٧).
(٤) المثنوي (٥/ ٣٤٩).
(٥) المثنوي (٥/ ١٩١٤).
(٦) المثنوي (٥/ ١٨٩٦).

وقال:

ليس يألفُ، ليسَ يُؤلَفُ جِسْمُه ... ليسَ إلا شحُّ نَفْسٍ قسْمُهُ[1]

وقال:

يا كرامي، ارحموا أهلَ الهوى ... شأنُهم وِرْدَ النَّوى بعدَ النَّوى[2]

وقال:

أيش أبالي بالخليفة في الهوى ... استوى عندي وجودي والنوى[3]

وقال:

لا تكلفني فإني في الفَنا ... كلَّتْ أفهامِي فلا أحصي ثَنا

كلُّ شيءٍ قالَه غيرُ المفيق ... إنْ تكلَّفْ أو تصلَّف لا يليقْ

قال: أطعمني فإني جائعُ ... واعتَجِلْ فالوقتُ سيفٌ قاطع[4]

مرحبًا يا مجتبَى يا مرتضَى ... إنْ تغِبْ جاءَ القضا ضاق الفضا

أنتَ مولى القومِ مَن لا يشْتَهى ... قَدْ رَدَى: (كلَّا لئنْ لمْ ينْتَهِ)[5]

ليتني كنتُ طبيبًا حاذِقا ... كنتُ أمشي نحوَ ليلى سابقا[6]

شاوِرُوهُنَّ وآنذاكَ خالِفُوا ... إنَّ منْ لم يعصِهِنَّ تالفُ[7]

---

(١) المثنوي (٥/ ٣٤٣٦).

(٢) المثنوي (٥/ ٣٥٤٩).

(٣) المثنوي (٥/ ٣٨٧٢).

(٤) المثنوي (١/ ١٢٨).

(٥) المثنوي (١/ ١٠٠).

(٦) المثنوي (١/ ٢٦٩٢).

(٧) المثنوي (١/ ٢٩٦٩).

وقال:

لاقـتِ الأشـباحُ يـومَ وَصْـلِها عـادتِ الأولادُ صـوبَ أصـلِها
أمَّـةُ العِـشْق الخفـيِّ في الأمَـمْ مثـلَ جُـودٍ حولَـه لـؤمُ الـسَقَمْ
ذلَّـةِ الأرواحُ مِـنْ أشـباحِها عِـزَّةُ الأشـباحِ مـن أرواحِهـا
أيُّهـا العـشاقُ الـسُّقْيا لكـمْ أنـتمُ البـاقونَ والبُقْيـا لَكُـمْ
أيُّها السالونَ قوموا واعشقُوا ذاكَ ريحُ يوسفٍ فاستنشِقُوا[1]

وقال :

قـد جعلْنـا الحبـلَ في أعنـاقِهمُ واتخـذنا الحبـلَ مـن أخلاقِهـمْ
لـيسَ مـن مـستقذرٍ مـستنقَهِ قـطُّ إلا طـائرٌ في عنقِـهِ[2]
كـل ليـل في القـرى وفـدٌ جديـد مـاهم ثـمَّ سـوى الله محيـد[3]

وقال :

لا تكنْ طَوْعَ الهوى مثلَ الحشيشْ إنَّ ظِلَّ العرشِ أولى من عَريشْ[4]

وقال :

حيـثُ كنـتم فولـوا وجهكـم نحـوه هـذا الـذي لم يَـنْهَكُمْ[5]

---

(١) المثنوي (٤/ ٨٤٩).

(٢) المثنوي (٤/ ١١٢١).

(٣) المثنوي (٦/ ٢٤٠٨).

(٤) المثنوي (٦/ ٣٥١٢).

(٥) المثنوي (٢/ ٣٧٥٩).

وقال :

غنِّ لِيْ يا مُنْيَتِي لَحنَ النُّشورْ ... أَبْرُكِي يا ناقتي تَمَّ السُّرورْ

ابْلَعِيْ يا أرضُ دمعي قدْ كفا ... اشربي يا نفسُ وِرْدًا قَدْ صَفا

عُدْتَ يا عِيدي إلينا مرحبا ... نِعْمَ ما روَّحْتَ يا روحَ الصَّبا

وقال :

ليس للجن ولا لإنسان أنْ ... ينفذوا من حبس أقطار الزمنْ

لا نفوذ إلا بسلطان الهوى ... من تجاويف السماوات العلى[1]

وقال :

يعرفون الأنبياء أضدادهم ... مثلما لا يشتبه أولادهم[2]

وقال :

حبُّك الأشياء يعميكَ بل يصُم ... نفسك السوداء جَنَت لا تختصم

وقال :

آتنا في دار دنيانا حَسَنْ ... آتنا في دارِ عُقبانا حسنْ[3]

وقال :

فاتقوا النارَ التي أوقدتُمُ ... إنكم في المعصية ازددتُمُ[4]

---

(١) (المثنوي) (٦/ ٢٣١، ٢٣٢).
(٢) المثنوي (٣/ ٣٦٦٥).
(٣) المثنوي (٣/ ٢٥٦١).
(٤) المثنوي (١/ ٣٣٨٨).

وقال:

تعــرج الــروح إليــه والملَــكْ — مـن عـروج الـروح يهتـزُّ الفلَـكْ
أغلــب الظنــين في تــرجيح ذا — لا تماري الشمس في توضيحها[1]
يشهد الله والملك وأهل العلوم — إنـــه لا ربَّ إلا مـــن يـــدومْ[2]

وقال:

يا غياث المستغيثين أهدنا — لا افتخار بالعلوم والغنا

وقال:

لا تــزغ قلبًــا هــديت بــالكرم — واصرف السوء الذي خَطَّ القلم

وقال:

ربِّ أوزعنــي لــشكري مــا أرى — لا تعقــب حــسرة لي إن مــضى
لـــو أنزلنـــا كتابًـــا للجبـــلْ — لانـصدع ثـم انقطـع ثـم ارتحـلْ

وقال:

أســـتعيذ الله مـــن شـــيطانه — قـــد هلكنـــا آهِ مـــن طغيانـــه

وقال:

حُفَّـــتِ الجنـــة بمكروهاتنـــا — حفــت النــيران مــن شــهواتنا

وقال:

اقتلـــوني يـــا ثقـــاتي لائـــما — إن في قـــتلي حيـــاتي دائـــما
إن في مـــوتي حيـــاتي يـــا فتـــى — كـم أفـارق مـوطني حَتَّـى متـى
فرقتي لـو لم تكـن في ذا الـسكون — لم يقـــل إنـــا إليـــه راجعـــون

---

(١) المثنوي (١/ ٣٤٣٩، ٣٣٤١).

(٢) المثنوي (١/ ٣٦٤٥).

وقال:

لا يسع فينا نبي مرسل … والملك والروح أيضًا فاعقلوا[١]

وقال في غير كتاب المثنوي:

أيُّها النُّورُ في الفؤادِ تعالَ … غايةَ الجِدِّ والمرادِ تعالَ
أنتَ تدريْ حياتُنا بيدَيْكَ … لا تُضَيِّق على العِبادِ تعالَ
أيُّها العِشْق أيُّها المعشوقُ … حُلْ عن الصدِّ والعِنادِ تعالَ
أنتَ كالشمسِ إذا دَنَتْ ونأتْ … يا قريبًا على البِعادِ تعالَ

وقال:

جاء الربيعُ والبَطَرْ … زالَ الشتاءُ والمطَرْ
مِنْ فضلِ ربٍّ عندَهُ … كُلُّ الخطايا تُغتَفَرْ
أَوحى إليكُمْ رَبكُمْ … إنَّا غفرْنا ذَنْبَكُمْ
فارضوا بما يُقْضَى لَكُمْ … إنَّ الرِّضا خَيرُ السِيَرْ
السرُّ فيكَ يافَتى … لا تلتَمِسْ مما أتى
من ليسَ سِرٌّ عندَه … لمْ يَنتفِعْ مما ظَهَرْ[٢]

قال أبو الفضل القونوي: أليس عجيبًا أن تأتي ترجمة عزَّام باشا المنظومة لبعض أبيات المثنوي أفصح من نظم الرومي نفسه بالعربية؟! ولقد أذكرني بعض نظم الرومي بالعربية ما كنا نقرأه في مطلع التسعينيات من القرن الهجري الماضي، في كتاب (المحفوظات) في الابتدائية، حين حُفِّظنا نظمًا مطلَعُه:

---

(١) المثنوي ١/ ٣٩٣٤-٣٣٣٦، ٣٩٥٤.

(٢) نقلًا من كتاب (تاريخ الأدب العربي) لعمر فروخ (٣/ ٦٣٦).

كُوكُـــو كُوكـــو بـــانَ النُّـــورْ   صـــاحَ الـــدِّيكُ فـــوقَ الـــسُّورْ

ويحتمل أن الرومي شَعَر بهذا التفاوت في نتاجه، فكان يحاول أن يكون نظمه في العربية مقاربًا في الجودة لما ينظمه بالفارسية، بمطالعته شعر العرب، فكان يُديم قراءة ديوان المتنبي، حَتَّى رآه الشمس التبريزي في بعض مطالعاته لديوان أبي الطيِّب فنهاه أن ينظر فيه أُخرى[1]، فكانت جنايةً أدبيةً مِن جنايات التبريزي على عشيقه الرومي فوق جناياته العَقَدية!!.

ويبدو أن شيطان شِعره - الذي هو مَصْدَر وَحْيه- كان فارسيًا طُمْطُمانيًا، فَخَذَله في عربيٍّ ما نَظَم، ولقد كان على مَنْ قدَّس المثنوي من صوفية العرب أن يُسائلوا أنفسَهم: لِمَ ينحَطُّ عالي شِعر هذا (الولي) متى نَظَمَ بالعربية ؟! ألم يكن جديرًا بهذا الذي يزعم نزول ما في المثنوي من السماء أن يَسْتَنْزِلَ عربيَّ مثنويِّهِ طبقةً عاليَةً أيضًا، فتُعَدَّ كرامة له كالتي ذكرها في مقدمته عند كلامه على حسام الدين جلبي(غلامه) حين قال حكاية عن ذلك الصوفي الذي قال: (أمسيتُ كرديًا، وأصبحتُ عربيًا)؟!

هلَّا كان مثل بَلَدِيِّهِ أبي بكر بن الزكي المتطبِّب (كان حيًا سنة ٦٧٧هـ) كان ينظم الشعر بالفارسية، وقد تراه إذا قاله بالعربية جاء شعرًا فصيحًا رائقًا كأن قائله رُبِيَ بينَ أعراب نجد، و رَعَتْ إبلُه الخُزامى، بحسبك أن تقرأ قصيدته الهمزية التي قال في مطلعها:

---

(١) مناقب العارفين، للأفلاكي (٢/ ١٩٨).

هـذا العَقيـقُ وهـذهِ الجَرْعـاءُ ... في جانبيهـا روضـةٌ غَنَّـاءُ
ذابَ النَّدَى خَلَلَ الشَّقِيقِ كأنَّهُ ... في جـامِ يـاقوتٍ يُـدارُ المـاءُ[1]

خَبَرُ (المَثناةِ) أهو تحذيرٌ من كتاب المثنوي؟

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أنه قال: «مِن اقْتِراب السَّاعةِ (وفي روايةٍ: مِن أشراطِ الساعةِ): أنْ تُرْفَعَ الأشْرارُ، وتُوضَعَ الأخْيارُ، ويُفْتَحَ القَوْلُ، ويُخْزَنَ العَمَلُ، وتُقْرَأ بالقَوْم المَثْناةُ (وفي رواية: المثاني، ليسَ فِيهم أحَدٌ يُنْكِرُها) وفي رواية: فلا يَعِيبُها أحَدٌ مِنْهم، قيل: وما المَثْنَاةُ ؟ قال: ما اسْتُكْتِبَ سِوى كِتابِ الله ﷻ»[2].

---

(١) روضة الكتاب وحديقة الألباب ص ٢١٧.

(٢) انظر خبر المثناة في المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٥٥٤، ٥٥٥)، ومجمع الزوائد (٧/ ٣٢٦) و الدارمي، ٤٨٢، وابن أبي شيبة: (٥/ ١٦٥)، والطبراني في مسند الشاميين: (١/ ٢٧٦)،وتفسيرالطبري: (٩/ ١٠٧)، وغريب الحديث، لأبي عبيد: (٤/ ٢٨١، ٢٨٢)، وكتاب السنن الواردة في الفتن، لأبي عمرو الداني، و غريب الحديث، لابن قتيبة: (١/ ٢٤٢) وتفسيرالثعالبي: (١/ ٧)، ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور(٢١/ ٩٣)، والصحاح،للجوهري(٦/ ٢٢٩٤)، ومعجم مقاييس اللغة: (١/ ٣٩٢)، ومجمل اللغة، كلاهما لابن فارس: (١/ ١٦٤)، والغريبين في القرآن والحديث، للهروي: (١/ ٢٩٩)، وتهذيب اللغة، للأزهري: (١/ ٥٠٦، ٥٠٧)، وغريب الحديث، لابن الجوزي: (١/ ١٣٢) والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: (ص ٩) والمجرد في الحديث، لابن اللباد: (ص ١٤٨ ط عمان)، ومختار الصحاح للرازي: (ص٨٨)، وكنز العمال: (١٤/ ١٠٨) والسلسلة الصحيحة، للألباني: (٦/ رقم ٢٨٢١٠) والروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام: (٤/ ١٠٨).

هذا أثرٌ صحيحُ الإسناد إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وعند العلماء بالحديث: أنَّ الأثرَ الموقوفَ إلى الصحابي إذا كان مُخبِرًا عن أمرٍ مِنَ الأمور، التي لا تُقالُ بالرأي، كأشراط الساعة، والثواب والعقاب، فإنَّه يُلْحَق بالحديث المرفوع إلى النبي ﷺ، وكذا الحالُ في هذا الأثر، فالكلامُ فيه على أمرٍ يكونُ في مستقبَل الدَّهْر، فهو في حُكْمِ المرفوع بلا رَيْب، وإنه لمعجزةٌ مِنْ معجزاته ﷺ، إذْ فيه تَسْمِيةُ كتابِ سَوْءٍ سيُكتَبُ بعدَ أكثر من ستمئة وخمسين سنة، من هجرته المباركة، وذِكْرٌ لخاصَّةِ وصْفِ هذا الكتاب، مع بيانِ موقف الناس منه، وهو نُدْرَةُ المنكرين عليه، وواضحٌ أنَّ المثناة هنا تعريبُ الكلمة العِبْرِيةِ: (مِشناه)، وهي أحد قِسْمَي كتاب التلمود. والكلمتان - أعني: المثناة والمشناه - متفقتان مبنىً ومعنىً، ففي العربيةِ المثناةُ: «ما قُرِئ من الكتابِ وكُرِّرَ»[1]، وفي العِبْرية المشناه: ما (يُثنَّى) أو(يكرر) ، وهذه حال المثنوي، فقد استكتبه الروميَّ غلامُه وعشيقُه حسامُ الدين جلبي ليكونَ مَتْلُوَّ المريدين[2]وما أنتَ بواجدٍ كتابَ ضلالة في تاريخ المسلمين كان صنيع مؤلفه المنتسِب إلى الإسلام مع القرآن صنيعَ حاخامات اليهود مع التوراة، مثل مثنوي الجلال الرومي، به حلولية كحلوليتهم، و مجون كمجونهم، وطَعْنٌ في مُسلَّماتِ الوحي المنزل كطعنهم، وإن لم يكن ثمَّةَ تحريفًا للكلِم عن مواضعه كتحريفهم، أعني زيادة لفظ في القرآن أو محوه، وهو الفارق الذي عَدِمَ مقدرته - و الزنادقة قبله - لكنه استعاض عن ذلكَ حينَ زعم فيمن زعم من الصوفية أن لآيات القرآن سبعةَ

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (١/ ٣٩٢).

(٢) مناقب العارفين ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧.

أبطنٍ من المعاني، وأن مثنويَّهُ كشَّافُها !! فحقيقٌ بهذا الشاعر البلخي أنْ يكون مصداقَ قوله ﷺ: «لتركبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذرعًا بذراع، وباعًا بباع، حَتَّى لو أنَّ أحدهم دخل جُحر ضبٍّ دخلتموه»(١). وغير بعيد أنَّ يكون اختيار الجلال الرومي اسم: المثنوي لكتابه يتعدى ما يتبادر إلى الذهن، من طريقة نظمه في الفارسية، الذي اصطُلح عليه بأنه: النظم القائم على توحيد القافية بين شطري كل بيت من أبياته، إلى معارضة كلمة المثاني الواردة في القرآن الكريم، ألا ترى كيف يلوح ذلك في عبارة مُقَدَّمٍ للمولوية صدَّقَ بجزءٍ سابع ملفَّق من المثنوي، فقال في مقدمة شرحه له: «و المثنوي ستة أسفار، ويوجد سبعة أسفار فتتم السبع المثاني»؟(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في بعض ردوده على أهل الكتاب: «فإذا احتجَّ أحدهم على خلاف القرآن بروايةٍ عن الرُّسل المتقدمين، مثل الذي يُروى عن موسى أنه قال: (تمسكوا بالسبت مادامتِ السموات والأرض) أمكننا أن نقول لهم: في أيِّ كتاب هذا ؟ أحضروه - وقد عَلِمنا أنْ ليس هذا في كتبهم، وإنما هو مفترى مكذوب - وعندهم (النُّبوَّات) التي هي مئتان وعشرون، وكتاب المثنوي الذي معناه (المثناة)!!، وهي التي جعلها عبد الله بن عمرو فينا من أشراط الساعة، فقال: لا تقوم الساعة حَتَّى يُقرأ فيهم بالمثناة، ليس أحدٌ يغيرِّها، قيل: وما المثناة ؟ قال: ما اسْتُكْتِب من غيرِ كتابِ

(١) السلسلة الصحيحة: (٦/ ٧٧٤، رقم ٢٨٢١).

(٢) المنهج القوي لطلاب المثنوي (١/ ٣٠٣).

الله»[١]. لقد كان عبد الله بن عمرو مع حفظه ما سمع من رسول الله ﷺ يكتب بعض أخبار الفتن وعلامات الساعة، في صحيفة سمّاها: (الصادقة)، وكان يحتفظ بها في صندوق له حِلَقٌ[٢] وكانت مِنْ أعزِّ نَفِيسِه من الدنيا[٣]، وغير بعيد أنه حين سمع التحذير من كتاب الضلالة هذا أن يكون قد كتبه في الصحيفة بلفظ المثنوي، ثمَّ إنه حين حدَّث المسلمين في عهد بني أمية بخبره حدَّثَهُم مِنْ حِفْظِه، وتبادر إلى ذِهْنِه معنى حديث «لتركبنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلَكم» فإمَّا أنْ يكون قد تأوَّلَ ما سيفعله الناس في المستقبل مع القرآن بأنه لن يختلف عن فعل اليهود مع التوراة، فتبدَّلَتْ كلمة المثناة بالمثنوي، إمَّا منه أو من الرواة، ألا تَرَى أن في بعض الروايات جاءتِ الكلمةُ بلفظ (المثاني)؟

ومِنْ عجيب التشابه بين المثنوي والمشناه أنَّ المثنوي قُسِّمَ من قِبَل الرومي إلى ستَّةِ أقسام، وكذا المشناه تتألَّف مِن ستة أقسام رئيسة، وكذا الأبياتُ الثمانية عشر من مطلع المثنوي مقدسة عند المولوية تقديسَ ثمانية عشر دُعاءً تُشَكِّلُ الجزءَ الأساسَ في الصلاة اليهودية، وتُتْلَى في كل الصلوات في كل الأيام وفي الأعياد كافة، ومن ذلك صلاة الختام (نعيلاه) التي لا تُقام إلا في يوم الغفران. ويَنْبَعِثُ من المثنوي عُوارٌ أخلاقيٌّ شبيهٌ بالعُوار التلمودي مِنْ أوصافٍ جنسيَّةٍ بالغة السوء، يَتَبَدَّى فيه احتقارٌ شديدٌ للمرأة، وحلوليةٌ في نَسَقٍ جنسيٍّ ظاهر، ويكفي أنهم سَمَّوْا ليلةَ موتِ الجلالِ الرومي، وخروج روحه من بدنه، وما

(١) مجموع الفتاوى: (٤/ ١).

(٢) السلسلة الصحيحة رقم ٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: (٣١/ ٢٦١).

حدَثَ بعد ذلكَ بليلَةِ الدُّخْلَةِ أو ليلة البِناء بالعَرُوس، أو كما هوَ بلَفْظِهم الفارسي «شَبِ عروس» يزعمون أنَّ روحَه لقِيَتْ فيها عشيقَها - تعالى الله عن ذلك - ولو عرف المحتَفِلون بالرومي هذا الجانب الحلولي الهابط لاستَحَوا مِنْ ترديد العبارة.

بَيْنَا تقرأُ قولَ الله تعالى في قصة سليمان وملكة سبأ في سورة النمل ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ تقرؤها في المثنوي تَفُوحُ منها رائحةٌ تلموديةٌ، قال في: جـ٤ (رقم البيت٦١٤): قال النبي سليمان لأولئك الرُّسُل (رُسُلِ سبأ) أيُّها الرسل المستحيون، ارجِعُوا، وَلْيَكُنِ الذهبُ لكم، واجْلبوا لي الفُؤادَ الفُؤادَ، وخُذُوا أَذْهَابي (جَمْعُ ذَهَب) هذِه أيضًا وضُمُّوها إلى أذهابكم، وأدْرِكُوا عَماكُم، ثُمَّ احْشُوا تلكَ الأذْهَاب في اسْتِ البَغْلِ.

وقال في جـ٣ رقم (٣٧٠٠) متحدِّثًا عن قصة مجيء جبريل إلى مريم عليهما السلام: بَيْنا كانتْ مريمُ مُخْتَلِيةً بنَفْسِها، إذا بها تَرَى مَنْ يَهَبُ الروحَ روحًا، كان جمالُ هذا الرَّجُل يأخُذُ بالقلوب! ، تَبَدَّى أمامَها الروحُ الأمينُ مِنَ الأرضِ، كأنَّه فلقَةُ قَمَرٍ، أو شمسٌ أشْرَقَتْ لِلتَّوِّ، أشْرَقَ لها مِنَ الأرض كشمسٍ ليس دُونَها حُجُبٌ، كانت مريمُ عاريةً، فخشِيَتْ أنْ يُصِيبَها بسوء، فجعَلَتْ ترجف وترتعش. كان الرَّجُل الذي رأتْهُ فائقَ الجمالِ، لو رآه يوسفُ لتعجَّبَ عَجَبَ النسوة اللائي قطَّعْنَ أيديَهُنَّ حِيْنَ رأَيْنَه، ولَقَطَّعَ يَدَيْهِ هُوَ أيضًا!!».

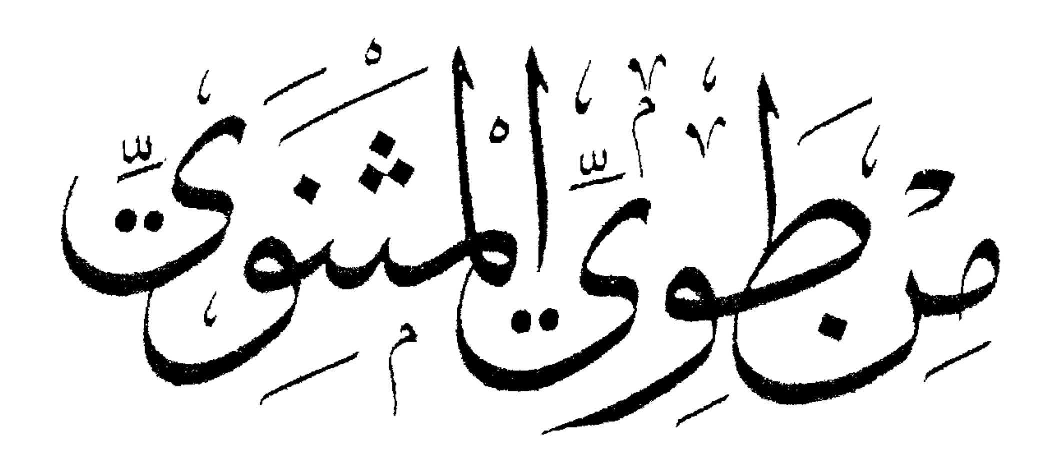
وكما أن للتلمود حاخامات يُكَرِّرونَ قراءتَه، فَلِلْمثنويِّ (مثنوي خانات) يكررون قراءته منذ عهد صاحبه على رؤوس الناس وفي مساجدهم، حَتَّى صار حافِظُه أعلى شأنًا مِنْ حافظ كتاب الله تعالى، إذْ يَعُدُّونه وَحْيًا نَزَلَ بالفارسية، نَزَلَ كشَّافًا للوحي العربي، بل قالوا: هوَ لُبُّه ومَحْضُهُ، فتَراهم يبدؤون دَرْسَهم في كل مرة بالتعَوُّذ، والبَسْمَلَة، ثُمَّ يقرأ (مثنوي خانِهم) - صِنْوُ معلِّم التلمود - بيتًا من المثنوي (جـ ١، رقم البيت ٢٢١)، قراءةً مجوَّدَةً، وهو قوله :

لا تَقُلْ لي: إنَّه لا إذْنَ للوصول لحضرة ذاكَ المليك

فإنه ليس ثَمَّةَ ما يَصْعُبُ على كُرَمـاءِ الرِّجـال

فإذا ما انتهى الـ(المثنوي خان) من قراءة هذا البيت أخَذَ في قراءة أبيات ذلك اليوم، يقرأها بالفارسية، ثُمَّ يُتَرجمها بلسان الحاضرين، يَهْذِرُ خِلالها بضُرُوب مِنْ غُلُوِّ المديح في الرومي، ويَتَشَدَّقُ بخُرافاتِ الصوفية ما شاء، فإذا أرادَ خَتْمَ دَرْسِه قال: «تَفَضَّلَ مولانا بالقول:

إنَّه (يعني المثنوي) ليسَ بكهانة ولا بتنجيم، ولا برؤيةِ حالم، **إنَّه وَحْيُ الله والله أعلمُ بالصَّواب !!**



كان الروميُّ

(بَنْدَهء تَلْمُود) لا (بَنْدَهء قُرآن)

تَنْبِيه:

قَبَلَ الشُّروع في قراءة هذا الفصل أنقلُ كلامًا ليتأمَّلْهُ مَنْ يَزْعُم أنَّ لهذه النصوص في المثنوي حِكَمًا مُغَيَّبَةَ الفَهْمِ إلا لِذَوِي المقامات الإلهية!!

قال (سلطان ولد) لأبيه الجلال الرومي يومًا: «يَلزمُ لفَهْم كلماتِكَ أبو يزيد (البسطامي)!! فقال الروميُّ: لا، لا يا بهاء الدين !! هذا لا يَرْتَضِيهِ أصحابُنا»[1].

وقال مَنْ خَبَرَ التصوفَ المنحرف ثمَّ نجّاهُ الله منه، أعني الإمام عماد الدين الواسطي، المعروف بابن شيخ الحزَّامِين، رحمه الله تعالى في كتابه (أشعَّة النصوص في هَتْك أستار الفصوص): «انتبِهُوا - مَعاشرَ العُقلاءِ - ولا تَصامَمُوا، ولا تَتأوَّلوا، ولاتَقُولُوا: هَذِهِ حَقائقُ ما نَفْهَمُها. بَلَى - والله - يَفهَمُها مَنْ كانَ له أَدْنى مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ صحيحٍ. وانْصَحُوا لله، وجاهِدُوا هؤلاءِ الكَفَرَةَ الفَجَرَةَ، **الذينَ قَدْ تَفَنَّنُوا في كُفرِهِم بطَرائقَ لَمْ يَسْبِقْهُم إليها أَحَدٌ مِنْ كَفَرةِ خَلْقِ الله، ومُلْحِدِيهِم. وبَيِّنُوا عُوارَهُم لِلْخَلْقِ، وأَهِينُوا كُتُبَهُم وأَسْماءَهُم،** فَإِنَّهُم أَهَانُوا الرُّبُوبِيَّةَ ومَزَّقُوها، مَزَّقَهُمُ اللهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، في الدُّنْيا والآخِرَةِ».

---

(١) مناقب العارفين للأفلاكي (١/ ٦٥٩)، قلت: عرَفَ الروميُّ أنَّ في ذلك تنزيلٌ لرتبة شعره بالفارسية - وهي لغتُه الأمّ - إذ يُنْسَبُ إلى التكلُّم بما لا يفهمه إلا الخاصَّةُ، كما أن فيه نِسبة أصحابه إلى البلادة والجهل حيث يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه.

ترجمةُ معاني أبياتٍ مِنَ المثنوي :

قال أبو الفضل القونوي: لا سبيل للمدافِعين عن المثنوي الذين يُؤَوِّلون حُلُوليّته أنْ يَتطَلَّبوا تأويلًا للهُبوط الأخلاقي في الأبيات التالية، ولو عقلوا لَدَلَّهم ذلك على أنَّ كتابًا وُجِدَ فيه الدُّر والبَعْر والرَّذْل والحَسَن، لا يمكن أن تُنْسَب معانيه إلى الله تعالى بوَحْي أوْ إلهام. وقد قال تعالى في بيان أنَّ وَحْيَهُ المنزَل كمالٌ كلُّه لا يقْرَبه نقص ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢].

تَقْدِيس النَّاي عند الروميِّ !!

وحُلُوليَّةٌ في الأبياتِ الثمانيةَ عشر التي يَعُدُّها المولويةُ فاتحةَ (قُرآنِهم).

قال الجلالُ الروميُّ:

«أَصِخْ بِسَمْعِكَ لِهذا النايِ، كيفَ يُخْبِرُ بالنُّؤَى والبُعْدِ، يتَشَكَّى: مُذْ أنْ كنْتُ نباتًا وقُطِّعْتُ، ضَجَّ النساءُ والرجالُ بِصَرَخاتِ اِلتِياعِي.

إنِّي أَطْلُبُ قَلْبًا مَزَّقَهُ البِعادُ كيْما أَبُثَّهُ شَجى القَلْبِ وحُرُقاتِ الفُؤادِ.

مَنْ فارَقَ أَصْلَهُ كانَ تِطْلابُه الوِصالَ، قَدْ بَكَيْتُ في كُلِّ اجْتِماعٍ، ونُحْتُ بحَضْرَةِ الأخيارِ والأشرارِ، يَحْسَبُ كلٌّ منهم أنَّهُ لِيَ صَدِيقٌ، ولكنْ لم يَبْحَثْ أحَدُهم عمّا بداخِلي مِنَ الأسرارِ، وإنَّها أسرارٌ لا تَبْعُدُ مِنْ عَزْفِ نُواحِي، ولكنْ ما كلُّ أُذُنٍ وعَيْنٍ فيهما مِنْ ذلكَ النُّورِ نُورٌ...».

حَتَّى قال: «أَنِينُ هذا النايِ نارٌ، وليسَ عَنْ نَفْخِ هواءٍ، فَمَنْ لا يَمْلِكُ تلكَ النارَ، فسُحْقًا لهُ وهَلاكًا، إنَّها نارُ العِشْق سَرَتْ في النايِ، سَرَيَانها في الخَمْر، وغَلَيَانها فيهِ...».

هَلْ كان الروميُّ عاطِفيًا وداعيةَ حُبٍّ؟

قال أحَدُ مَدَّاحِي الجلالِ: إنَّ (مَوْلاهُ) كان عاطِفِيًّا، وداعِيةَ حُبٍّ...، إلى كَلِماتٍ مِنْ هذا النَّوْعِ قالَها، وهوَ يَعلمُ أنَّه شاعرٌ، مِنْ مَفْرقِ رأسِهِ إلى أخْمُص قَدَمَيْهِ، لكنَّهُ أبَى أنْ يعترفَ أنَّهُ مِنَ الصِّنْفِ المذمومِ، الذين يقولون ما لا يفعلون، مِنْ خصالِ الخيرِ، هذهِ حقيقةٌ في كثيرٍ مِنَ الشعراء، ذَكَرَها اللهُ تعالى، وذَكَر ما يَتْبَعُ ذلك مِنْ إضلالِ المعْجَبِينَ بهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، ومِنْ (بسيطِ) الأمثلة على ذلك أنَّ الشعراءَ يمدحون الكرَمَ والكُرماء، وهم بخلاء أو يُبَخِّلُهم الناسُ، ويَصِفُون الحربَ وكُماتَها، والغالبُ عليهم الجُبْنُ والخَوَر، وكذا كان هذا الروميُّ، تَقْرأ كثيرًا من شِعْرِه الحَسَن، فَيُوهِمُكَ ذلك صِدْقَ ما وَصَفَهُ به مادِحُوه، والحقُّ الذي يَظْهرُ مِنْ مجموعِ شِعْرِه وترجمة حالِه أنَّه داعية حُبٍّ، ولكن أيُّ حُبٍّ ؟ يكفي الآنَ أنْ أقولَ فيه إنه حُبُّ الحلولية ومَنْ ضَلَّ السبيل، أمَّا عاطفةُ قَلْبِهِ، فالذي كان بَيْنَ جَنْبَيْهِ صخرة مِنْ حَدِيدٍ، وخُذْ إليكَ مثلًا يَشْهَدُ لذلكَ القِصَّة الأُولى، التي اسْتَهَلَّ بها قَصَصَهُ في المثنوي، إنْ قرأتَها مرَّةً، فاقرأْها أُخرى، ثمَّ إنْ بَقِيتَ على حالِكَ الأُولى فَهْمًا لها، فألْقِ الكتابَ وتَلَهَّ بما شئتَ !!. إنَّ تَسْويغَهُ قسوةَ الملِكِ في تلكَ القصةِ لَيَلْحَظُهُ التلاميذُ في الابتدائية، وخلاصةُ القصةِ أنَّ مَلِكًا تَعشَّقَ جاريةً، فمَرِضَتْ حِينَ صارتْ عندَهُ، إذْ كانت تعشقُ فتىً غيرَهُ، فدَبَّرَ رَجُلٌ وَصَفَهُ الروميُّ بالحَكيمِ

الإلهي للمَلكِ تَدابيرَ خبيثة مِنْ قَتْلِ نَفْسٍ بغيرِ حَقٍّ مِنْ أجْلِ أنْ تُشْفَى الجارية، وإرضاءً لشهوةِ مَليكِهِ...»[1]، وفي قصة العبد الهندي (فَرَج) التي تأتي دليلٌ على أنَّه لم يكُنْ عاطفيًا بل كان ممن ذَمَّتْهُمْ آيةُ سورةُ الشعراء.

وَحْدَةُ الرِّجالِ والنِّساءِ :

قال في البيت رقم (٧٥٨) :

«فَيَا مَنْ بَرِئَتْ رُوحُكَ مِنْ (نَحْنُ) و(أنَا)، أيُّها الروحُ اللطيفُ في الرجالِ والنساءِ، إنكَ الواحدُ حِينَ يَتَّحِدُ الرجالُ والنساءُ، إنَّكَ الواحدُ حين تُمْحَى الوَحداتُ، لقد صَنَعْتَ (نَحْنُ) هذِهِ و (أنا) حَتَّى تلعبَ مع نَفْسِكَ لُعبةَ العبادةِ، حَتَّى تصبحَ كلُّ (أنا) و (أنتَ) روحًا واحدةً، وتغدو كلُّها فانيةً في الحبيبِ...».

المرأةُ إذا رضيَ عنها الروميُّ كانتْ إلهًا !!

قال في (٢٤٣٧): «إنَّ المرأةَ ليستْ بمعشوقةٍ، بَلْ هيَ نورُ الحقِّ، فَقُلْ: إنَّها خالقةٌ، أو قُلْ: إنَّها ليسَتْ بمخلوقةٍ !!».

قال أبو الفضل: أيْنَ تَضَعُ هذا -أيُّها القارئُ- في مُعْتَقَدِ هذا الرومي؟، أفي قولِهِ بالحُلولِ أمْ فيما يُقالُ مِنْ قوله بوحدة الوجود ؟ إنه تناقضُ الشعراء مِنْ هذا الصِّنْفِ مِنْ غُلاة الصوفية، يُلْحَظُ مثلُهُ في تائيَّةِ ابن الفارض.

---

(١) اقرأ تفاصيلها في المثنوي ج ١ (رقم البيت ٣٥).

وإذا سَخِطَ عليها، فهيَ مِنَ الشَّهْوَةِ، وإليها !!

كانتْ نَظْرَتُه للنساءِ قَبْلَ تَشَبُّعِهِ بـ(أذواقِ) شَيْخِهِ القلندري شمسِ الدين التبريزي نظرةً طبيعيةً، أوْ لنقُلْ: إنه لم يُنقَلْ عنه ما يُنافي ذلك، بل أوْرَدُوا في ترجمته أنه كان فقيهًا حنفيًا، ويَتأكَّدُ للناظر في بقيَّةِ الروايات أن فساد هذا الفقيه كان بعد لقائه بالتبريزي، الذي كان قد تعرَّفَ عليه في (دمشق)، قبل أن يَلْتَقِيا في (قونية)، ودليل ذلك ما نقله الأفلاكي عن مريد من مريدي المولوية القدماء أن الجلال لقِيَ التبريزي في (دمشق)، وأنه قال له: يا صَيْرَفِيَّ الدُّنيا افْهَمْ عَنِّي!![1]. هذا التعارفُ المسْبَقُ يتهرَّبُ مولويةُ اليوم مِنَ الاعتراف به، لأن ذلك جاعلٌ من لقائهما في (قونية) شيئًا مألوفًا، رجلٌ رأى صديقًا أو معرفةً له فأكْرَمَهُ، وذلك مُسْقِطٌ هالَةَ الأسرار والغُموض التي يُحيطونَ لقاءَ (العشيقين) به في (قونية)، فعلى هذا يمكن القول: إن تاريخَ لقائهما في الشام كان قبل سنة (٦٤٢هـ) بكثير، هذا مقتضى الخبرِ السابق، فإنَّ فيه قولَ الراوي عن اللقاء الثاني: (بَعْدَ زمنٍ طويل)، فعلى هذا يكون لقاؤهما، حين جاء (دمشق) مع والده مراهقًا، وكانتِ الحريريةُ الإباحيةُ أتباعُ علي الحريري (ت٦٤٥هـ) وقتئذٍ في قمة (نشاطهم)، ويُفهَمُ ممَّا أورَدَهُ الأفلاكيُّ أنَّ التبريزيَّ كان خليطهم، وجليسَ زعيمهم الحريريَّ.

---

(١) مناقب العارفين، الأفلاكي (٢/ ١٩٣).

ولما جاء التبريزيُّ قونية مكث الروميُّ معه في حجرة واحدة مدةَ ستة أشهر، لا يخرجان منها ولا يدخل عليهما سوى ابن الرومي: بهاء الدين الملقَّب بـ(سلطان ولد)، وكان صِلَةَ وَصْلِهما بالعالم الخارجي، وكان في ذلك الوقت غلامًا ما طرَّ شارباه، جميل الصورة، حَتَّى وَصَفَهُ المصْدَرُ بـ(يوسُفِ يُوسُفان) بالفارسية!!. فلما انقضتْ خَلْوَتُهما طلَبَ التبريزيُّ إلى الجلال مَنْ يخدمه، فكان أهْوَنَ ما عندَه زوجته، وكان لا يغار على حُرَمِهِ كما يُفْهَم من كتاب (فيه ما فيه)، فاقترحَ له زوجتَهُ لتَدْخُلَ عليه وتخدمه، فأبى إلا أن يكونَ الخادمُ غلامًا، فقدَّم الجلالُ ابنَهُ (سلطان ولد) إلى شيخه الذي يُجاهِرُ بقلندريتِهِ[1]، وهنا لم يُطِقْ أهلُ (قونية) طُلَّابَ شريعةٍ وصوفيةٍ هذِهِ الجريمةَ مِنَ الجلال، وغضبوا من إفساد التبريزي عقيدة أستاذ الفقه.

فَمِنْ إفسادِهِ الذي يُشاهَدُ دليلُهُ في كتاب (فيه ما فيه) أن الروميَّ صار يأمرُ مريدِيهِ بِتَرْكِ الغيرة على نسائهم، حَتَّى دعاهم لكي يتغلبوا على ذلك أن يعدوهنَّ مِنَ البغايا، ونهاهم عن أمرهن بِسَتْرِ زينتهن وسترهن عن الأعين، وجَعَلَ يضرب الأمثال ليُقْنِعَهم برأيه، فقال يومًا لهم: «خُذْ مثلًا الخبزَ، خبِّئه تحتَ إبطِكَ، بحيث لا يراه أحدٌ، وقُلْ للناسِ (في الطريقِ): لنْ أعطِيَكُم ما تحت إبطي، بل لنْ أرِيَكُم أيَّ شيء هوَ، فَسَيَتْبَعُونَكَ لِيَرَوْهُ، وإن كان الخبز مبذولًا في الطرقات، لرُخْصِه وكثرتِه، يقولون: لا مَناصَ لكَ أوْ تُرينا هذا الذي تمنعُنا رُؤيتَهُ، وربما شفعوا إليكَ بمعارِفِكَ، فلو مَكَثْتَ على عنادِكَ هذا سنةً ما زادَهم ذلكَ إلا إصرارًا، فقدْ رَغَّبَ هذا الناسَ بما منعهم منه.

(١) يحرص محبو الرومي على عدم الكشف عن قلندرية التبريزي.

فالمرأةُ - أيضًا - إن قلتَ لها: اسْتَتِرِي، تَوارَيْ عَنِ الأنظار، لم يَزِدْها ذلكَ إلا رغبةً في أن تتكشَّفَ، وتُظهر نفسها، ولم يزدْ ذلك الناسَ إلا إصرارًا على رؤيتها»(١).

وقال: «فإنَّ المرأةَ عندَ الجماعِ تصيرُ في يَدِ الرَّجُل كالعجينِ في يدِ الخَبَّاز يَعْجِنُها في رِفْقٍ حِينًا، وحِينًا في شِدَّةٍ، حَتَّى يُخْرِجَ منها أصواتًا تقولُ: جاقْ جاقْ !!حينًا يَمُدُّها مُسَطَّحةً فوقَ اللَّوْحِ، وحينًا يَلُمُّها كُتْلةً !! يَصُبُّ عليها الماءَ حينًا، ويَذُرُّ الملحَ حينًا، وحينًا يَبْسُطُها في تَنُّورِهِ ويَعْلَمَ (عِيارَها) بنارِهِ، وهكذا الْتِفافُ الراغِبِ على المرْغُوبِ، هكذا طَيُّهُ وثَنْيُه!! مَنْ كان (تحتًا)، ومَن صار (فوقًا)، هما في هذا اللَّعِبِ سواءٌ، ليس هذا اللعبُ حَصْرًا على الزوج وزوجتِه !! إنَّه مُعتادُ كلِّ عاشقٍ و عشيقَتِه»(٢).

وقال عن هذا (العشق) في البيت رقم (١٧٧٠) :

«إنَّ مِلَّة العِشْق قد انفصَلَتْ عن الأديانِ كافةً، فمذهبُ العشاق، وملَّتُهم، هو: الله» !!

(١) كتاب (فيه مافيه) (ص٧٤) من الترجمة التركية.

(٢) من قصة الفقيه في مجلس الملك، وستأتي ترجمتها.

عَوْدٌ إلى رأيه في المرأة !!

قال في: جـ ٦ رقم (٤٤٢٦) :

«... كمَثَل عِنِّينٍ تزوَّجَ فتاةً، ولنفرضْ أنَّها حسناء كأنَّ عُنقها إبريقُ فضَّةٍ، ما نَفْعُ ذلكَ لها ؟ إنَّ قنديلًا ما وُضِعَ فيه الزَّيْتُ والفتيلة، لا يُضيء كثيرًا ولا قليلًا».

معذرةُ (دلقاق) لـ(سيِّد الأجَلِّ) :

قال في جـ٢ رقم البيت (٢٣٣٣) :

«قال السيدُ الأجلُّ ذاتَ مساءٍ لدلقاق: ما لكَ قَدْ تزوَّجْتَ بقحبةٍ ؟! اسمَعْ نُصْحي، اُتْرُكْ تلكَ القحبة، ينبغي أنْ تَنْكِحَ عفيفةً شريفةً !!، فقال دلقاق: قد تَزوَّجتُ بتسعٍ مِنَ العفيفاتِ الصالحاتِ، فَصِرْنَ جميعًا من البغايا، وعَمَّ الحَزَنُ بَدَني !! ، فتزوجتُ هذه العاهرةَ الساذجة، وسأنظرُ ما يؤولُ إليه أمرُها !! إنَّني كثيرًا ما قد جَرَّبتُ العقلَ، وإني - بَعْدُ - لمُلْتَمِسٌ مَغْرِسًا للجُنونِ!! ».

يُقَوِّلُ شخصياتِهِ ازْدِراءَ المرأةِ !!

قال في جـ ٥ (٣٣٩٠) على لسان شخصية من شخصيَّاتِ مثنويِّهِ:

«... لكنَّ فؤادي تَوَّاقٌ إلى إيمانِ أبي يزيد (البسطامي) أتوقُ كثيرًا لاستقامتِهِ، كتلكَ المرأةِ التي رأتْ سِفادَ حمارٍ لأتانِهِ، فقالتْ: يا لَلْرَّوْع !! هاكَ انظُروا الفَحْلَ الأَوْحَدَ !! إنْ كان هذا الجماعُ، فإنَّ رجالنا لا يُجامِعُونَنا بَلْ يَتبَوَّلُونَ فِينا !!

حازَ أبو يزيد جميعَ شرائطِ الإيمانِ أنْعِمْ بأسَدٍ أَوْحَدَ مثلِهِ ! لو أنَّ قطرةً مِنْ إيمانِ أبي يزيدَ ذَهَبَتْ في البحر لَغَرِقَ البحرُ في تلكَ القطرةِ».

تعليق:

لأمرٍ ما طلبَ علماءُ الشريعة إلى الأمير (تيمورلنك) وكانوا في رفقته يومَ اجتاحَ الأناضول ودخل قونيةَ أنْ يُسَوِّيَ قبرَ الجلالِ بالأرضِ، ولم يُعلَمْ أنهم طلبوا إليه مثلَ ذلكَ في قبور غيره في تلك البلاد وقد كانت بالمئاتِ والعلة الشرعيةُ في هدمها قائمة فيها أيضًا، فعلام خصُّوه بذلك؟.

فتاةٌ يُعَلِّمُها والدُها كيفيةَ العَزْلِ ؟!!

القصة في جـ ٥ رقم (٣٧١٦) قال :

«كان لرجلٍ غَنيٍّ ابنةٌ ناصعةُ الخدِّ، قَمَرِيَّةُ الوجهِ، فضِّيَّةُ البَدَنِ، فما أنْ بلَغَتْ حَتَّى زوَّجَها، لكن بمَنْ لم يكنْ لها بكُفْء. إنْ استوى البطيخُ وامتلأ ماءً، ثم لم تقطَعْهُ (تأكلْهُ) تَلِفَ وذَهَبَ هدرًا. خشيَ الأبُ أنْ تَطِيشَ ابنتُهُ، فلذلك زَوَّجها من غير كفئها. قال للبنت: احمي نَفْسَكِ مِنْ زوجكِ، إيَّاكِ وأن تحبلي !! ماذا كنتُ لأفعلَ ؟! قد اضطُّررتُ أن أزوجكِ بهذا الفقير، عُدِّيه غريبًا عنك، لا وفاءَ عندَ غريبٍ. يَتركُ كلَّ شيء فجأة ويهرُبُ ويبقى ولده مصيبة عندكِ.

قالتِ البِنتُ: سأفعلُ ما قلتَ يا أبَتِ، نُصْحُكَ عينُ الصواب. كان الأبُ ينصحها كلَّ يومين أو ثلاثة، مرة بعد مرة: إياكِ والحَبَلَ!! وبينا هم على ذلك إذا بها تحبل. قد كانا شابَّيْنِ !!

أَخْفَتِ البنتُ الأمرَ عن أبيها، وحين بلغ الجنين في بطنها خمسة أشهر أو ستة، ظهر حبلُها ظهورًا لا خفاء فيه، فقال أبوها: ما هذا ؟ ألم أقلْ لكِ احمي نفسَكِ منه ؟ أكانت نصائحي ريحًا، فلَمْ تؤثِّرْ فيكِ ؟

قالتِ البنتُ: أَبَتِ، كيفَ أُطِيقُ ذلكَ، وقد تعلمُ أنَّ المرأةَ بجنب الرَّجُل نارٌ وقُطنٌ، كيف يطلبُ القطنُ السلامةَ مِنَ النار؟ أم كيف تتجنب النارُ القطنَ فلا تحرقُه ؟

فقال لها أبوها: يا بُنَيَّةُ، إني لم أَقُلْ لكِ: لا تَقْرِبيه، وإنما قلت: احمي نفسك مِنْ مَنِيِّهِ ! اسحبي نفسكِ عند بلوغه ذروة اللذة !! عندَ دُنُوِّ قَذْفِه مَنِيَّهُ !!

قالت البنت: سأفعلُ، ولكنْ ما يُدريني أيَّ وقتٍ سيكونُ منه القذف؟! هذا شيء خفيٌّ جدًا، لا يُعلَمُ.

قال الأبُ: إنْ أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ وأَغْمَضَهُمَا، فاعلَمِي أنَّ ذلكَ حِيْنُه ! قالتِ البنتُ: أَبَتاهُ، إلى أنْ يُطْبِقَ هُوَ جَفْنَيْهِ تكونُ عينايَ هاتان قَدْ عَمِيَتَا» !!

تعليق:

إذا تَمَاجَنَ صاحبُ المثنوي أطلَقَ أمثالَ هذِهِ (النكات) الخادشةِ للحياء، ولقد زادَ مِنْ قباحةِ جُرْمِهِ جَعْلُهُ الحِوارَ بينَ أبٍ وابنتِهِ، لا جَرَمَ أنَّ مجوسية كسرويةً سَرَتْ في عُروق الشاعر أساغتْ له ما أساغَتْ لأسلافِهِ، إلَّا يكُنْ هذا، أَفَلَمْ يَخْطُرْ في بالِهِ حينَ نظَمَها في مثنويه أنَّ ذلك مما لا يَليقُ ؟ لِمَ لَمْ يجعلْهُ كلامًا بين امرأتين، أمٍّ وابنتِها ؟ أمْ أَنَّها أُفْكُوهَةٌ تَفْقِدُ بعضَ وَقْعِها إذا فعل ذلك ؟ أهذا مِنْ (تَطْييبِ الأخلاق)؟ يبدو أنها فَلْتَةٌ منه أظهَرتْ مفهوم خُلُقِ الحياءِ عندَه،

وانظروا إلى ما رواهُ الأفلاكي قال: «نُقِلَ عن (سلطان ولد) أنه قال: قامَ أبي - ذاتَ ليلةٍ - يتهجَّدُ، حسب عادتِهِ، وتطبيقًا لآية: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة الزمر ٩]، وكُنْتُ أنا و(أمّ عارف) نائمين على الفِراش، فاستيقظَ فيَّ داعي الشهوة والجماع، وبعدَ حصولِ المرادِ، التفَتَ إليَّ أبي بوجْهِهِ، وتفضَّلَ قائلًا: بهاء الدين ! ماذا أضَعْتَ هناك ؟ ما الذي تبحثُ عنه ؟ أتُراكَ تبحَثُ عَنْ عارفٍ ؟[1] آمُلُ أنْ لا يَضِيعَ أمَلُكَ سُدَىً !! فوضَعْتُ جَبْهَتي خُضُوعًا له، ثُمَّ قامَ أبي وذهَبَ. فهيَ تلكَ الليلة التي حَمَلَتْ فيها فاطمةُ خاتونَ بجَوهر عارف!!»[2].

إذا لم تكنْ هذِهِ الروايةُ تَحْكِي عادةً جاهليةً مِنْ عاداتِ الفُرسِ عندَ القوم، كتلكَ التي يُكَلِّمُ الرجلُ ابنتَهُ في مسائلِ (الجنس) بصراحةٍ يأْباها الحياءُ، فإنَّنا هنا بصَدَدِ أشنعَ منها، وهيَ أنَّ الوالد كانَ يرى ولدَه حالَ الجماع، أوْ يُحِسُّ ذلكَ ببعضِ حواسِّه الخمس !! كما يَلوحُ معنى ذلك في الرواية السابقة، والقريبُ مِنْ تفسيرِ ذلكَ ما يُفهم مع تأمُّلِ هذه الرواية :

قال الأفلاكي: «حكى سراج الدين التَّتَري، قال: بَعَثَ (مولانا) يومًا يَطلُبني، فقال لي: اذهَبْ إلى (فاطمةَ خاتون)، وأبلِغْها سلامي، وقُلْ لها مُبلِّغًا ذلكَ عن لساني: إيَّاكِ وفِعْلَ أشياءَ كهذه (؟!!)، احفَظِي جَنِينَكِ،

---

(١) عارف اسم حفيد الرومي وهو كما يفهم من القصة لم يُخلق بعد.

(٢) مناقب العارفين(٢/ ٤١٧، ٤١٨).

أَوَ تَخْجَلِينَ مِنْ نَسْلِنا ؟ إنَّها روحٌ شريفةٌ وعظيمةٌ ولطيفةٌ جدًا، إنها ضَيْفَةُ اللَّامكان، أقبَلَتْ إلى مركز المكان هذا مِنْ عالم الغُرْبةِ.

قُلْ لها مُحذِّرًا: كَيْ تَنالِينَ حِمايتَهُم و رِعايَتَهُم، ينبغي عليكِ أنْ تَحمِيَهُ (الجَنين) غاية الحمايةِ والرعاية. قال الأفلاكي: قال الرواة: إنها كانت قد أَنْجَبَتْ مِنْ حضرة (سلطان ولد) اثني عشر أو ثلاثة عشرة مولودًا، كُلُّهم ماتوا، ولحقوا بأسلافهم !!. كانت هذِه الأُمُّ المشفِقَةُ تَتَلَهَّفُ طلبًا لطفل يكون خيرَ خَلَف، فكانت كلَّما حَبلَتْ، تَشرَبُ أنواعًا من الدواء ليَسْقُطَ حملها (!!)، وتَتَحرَّكُ حركات شديدة لا تصحُّ مِنْ حامل، وفي حملها هذا (الذي كان فيه تحذير الرومي لها) شربَتْ أدوية مؤثرة، بَيْدَ أنَّ إسقاطَ الجَنِين ما تَيسَّرَ لها، فلما بشَّرَها (!!) السِّراجُ التَّتري بإشارةِ (مولانا) عن مَقْدَمِ (عارف)، صَرَفَتْ (فاطمةُ خاتون) النظَرَ عن رغبتِها في إسقاطها إيَّاه فَرَحًا بذلك(!!) وصارَتْ تُحافظ عليه جَنِينًا في بطنِها، وتَرَكَتْ ما يثقلُ مِنَ الطَّعامِ، وقدَّمَتْ القرابِينَ، وفَرَّقَتْ لحومَها على المحتاجِينَ»[1].

---

(١) مناقب العارفين(٢/ ٤١٨، ٤١٩).

أشاعرٌ عُذْريٌّ أم عُهْريٌّ ؟

قال في جـ ٢ (٣١٤٩):

«وماذا تَعْرفُ عن مَذاقِ الصَّبْرِ يا مَنْ قَلْبُكَ مِثْلُ الزُّجاج، وبخاصَّةٍ إذا كان الصَّبْرُ عن حِسان (جكل)، إنَّ الرَّجُلَ يَتذَوَّقُ الغَزْوَ، والكَرَّ والفرَّ، وأمَّا المُخَنَّثُ فلا يتذوَّقُ إلاَّ الأيْرَ !! ليسَ لَهُ دِينٌ سِواهُ، ولا حديثَ لَهُ غيرَهُ، يَحْمِلُهُ التَّفْكِيرُ فيهِ إلى الأسافِلِ، فَلَوْ أنَّه تَسامَى إلى الفَلَكِ عُلُوًّا، فلا تَحْسِبْ لَهُ حِسابًا، ذلكَ لأنَّهُ حَذِقَ دَرْسَهُ في عِشْقِ التَّسَفُّلِ».

المخَنَّثُ واللُّوطيُّ :

قال في جـ ٥ (يبدأ النظم من البيت ٢٤٩٧) :

«بينما لوطيٌّ يأتي مخنثًا إذ رأى في خاصِرَتِهِ خِنْجَرًا، فسألَهُ حالَ إتْيانِهِ: لِمَ هذا الخنجرُ ؟ فقال المخنثُ: هذا كي أَجَأَ بِهِ بَطْنَ مَنْ يظنُّ بي ظَنَّ السَّوْءِ !! فقال اللوطيُّ وهو مستمرٌّ في فَعْلتِه: أحمدُ اللهَ أني لستُ ممَّنْ يظنُّ بكَ ظنَّ السَّوْءِ !!

بَيْتِيَ ليسَ بَيْتًا، بَلْ هُوَ إقْلِيمُ مَعْنًى

وهُزْئيَ ليسَ هُزءًا بَلْ هُوَ لِتَعْلِيم شَيْءٍ ما

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦] يعني هذا: أنَّهُ قَدْ جرَّبَ ما هُوَ فوقَ البعوضةِ، إلا أنَّ إنكارَهم غيَّرَ أرواحَهُم فيقول الكفار: ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ فيجيبُهم قائلًا: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾، ولأنَّ كُلَّ اختبارٍ بمثابةِ ميزانٍ، فيَخْجَلُ كثيرٌ

منهم بسبب ذلكَ، ويُصَدُّ كثيرٌ به عن آماهم، ولو تأمَّلتَ فيه قليلًا لوجدتَ مِنْ نتائجِهِ الشريفة كثيرًا.

ذهبَ لوطيٌّ إلى بيتِهِ بِمُخنَّثٍ ثُمَّ كَبَّهُ على وجهِهِ، وجَعَلَ يُولِجُ فيهِ، فبَيْنَا هُوَ كذلك رأى اللَّعِينُ خنجرًا في حزام المخنَّثِ، فسألَهُ: أيُّ شيءٍ هذا في خاصِرَتِكَ؟، فقال المخنثُ: خِنْجَرٌ أجَأُ به بَطْنَ مَنْ يُسيء بيَ الظُّنونَ !!، فقال اللوطيُّ: حمدًا لله أني لستُ هنالِكَ، فما ظَنَنْتُ بكَ ظَنَّ سَوْءٍ قَطُّ !!

ما تَصْنَعُ الخناجرُ إنْ لَمْ تكُنْ فيكَ رُجُولَةٌ ؟ ما نَفْعُ الخناجرِ إنْ عَدِمْتَ الشجاعةَ والإقدامَ ؟ هاكَ افْتَرِضْ أنَّكَ وَرِثْتَ «ذا الفِقارِ»، أرِنا إذَنْ يَدًا كَيَدِ أسَدِ الله !! هَبْكَ ثَقِفْتَ نَفْثًا كَنَفَثاتِ المسيح، أيْنَ - يا ذَمِيمُ - شَفَتَا عيسى فيكَ وَثَغْرُهُ ؟

لِنَفْرِضْ أنَّكَ لِغَرَضِ الكَسْبِ والحُصولِ على شيءٍ صَنَعْتَ سفينةً، فأيْنَ رُبَّانُ سفينةٍ مثلَ نُوحٍ ؟ لِنَفْرِضْ أنكَ تُكَسِّرُ الأصنامَ كإبراهيمَ، فأيْنَ أنتَ مِنْ رَمْيِهِ لِوَثَنِ البَدَنِ في النار ؟! فإنْ كان عندكَ دليلٌ فأخرجْهُ حَتَّى يَعُودَ سَيفُكَ الخَشَبيُّ بهِ ذا الفِقار، والدليلُ إنْ مَنَعَكَ العملَ فهوَ غضَبُ الله. قد جعلْتَ الخائفينَ في الطريقِ أقوياءَ بَيْدَ أنَّكَ أشَدُّ خوفًا منهم، تَرْتَعِشُ ارتعاشًا، تُعْطِي الجميعَ دُرُوسًا في الاعتمادِ على الله، بَيْدَ أنكَ لحِرْصِكَ تَسألُ عِرْقَ البعوضةِ الطائرةِ !! يا مخنَّثُ، إنَّكَ لَتَمْشِي مِشْيَةَ العَسْكَر، لكنَّ أيْرَكَ يَشْهَدُ بزَيْفِ شارِبَيْكَ، إنْ كان قَلبُكَ مُليء خِسَّةً و دَناءةً، إنَّهُ لَيُضْحِكُ مِنْ لحيتِكَ وشارِبيكَ!!

تعليق :

قوله: بيتي ليس بيتًا، بل هو إقليمُ معنى وهُزئي ليس هزءًا بل هو لتعليم شيءٍ ما، ترجمة نَظْمٍ بالفارسية لشاعر فارسيٍّ قبلَهُ كان يقدِّسُه، وهو قد استشهد به هنا قبيل هذه الأبيات، يريدُ القولَ: مهما رأيتَ في كلامي الذي ستقرؤه مما يبدو كالهزل، فإنه ليس كذلك، يُشير إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق ١٣، ١٤]، ويُلحَظُ أنَّ الجلال شَعَرَ في قرارة نفسه بارتكابه بشاعةً أخلاقية في حكايتِهِ التفصيلية للمُجون إلا أنه ما استطاع أنْ يُمْسِكَ عليه لسانَهُ، ولا أن يَكُفَّ مَنْ كان يُوحي إليه بها مِنْ شيطان شِعْرِه.

ويحسُنُ هنا أنْ يُعامَلَ كلامُ الرومي بضِدِّ ما أرادَ له مِنَ التقديس فيقال: أنتَ تُصحِّحُ في مثنويكَ الحديثَ المكذوبَ الذي فيه: إنَّ للقرآن ظَهْرًا وبطنًا، وإنَّ لِبطنه سبعة مِنَ البُطُون... فهذِهِ القصةُ مِنْ أيِّ بطن مِنَ البطون غُصْتَ إلى قاعِهِ ففَهِمْتَ أسرارَهُ المعنوية حَتَّى تدفَّق مِنْ فيكَ نظمًا مثنويًا ؟!!

شهوة الدنيا كجِماعِ الأطفال !!

وقال في البيت (٣٤٣٠) :

«وجميعُ الخَلْقِ أطفالٌ إلا مَنْ ثَمِلَ بالله !! وليس بينهم مِنْ رشيدٍ سوى مَنْ تخَلَّصَ مِنْ هواه ! إنَّ الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [سورة محمد ٣٦] وإنكم لأطفالٌ، واللهُ يقولُ الحقَّ، فإنْ أنتَ لم تُقْلِعْ عن اللعب فأنتَ طفلٌ !! وكيف تكونُ زكيًا إنْ لم تكنْ طاهرَ الرُّوحِ ؟

أيُّها الفتى ! اعلمْ أنَّ الشهوةَ التي يَنْكَبُّ الناسُ عليها في هذه الدنيا، إنما هي كجِماعِ الأطفال !! وما جماعُ الأطفالِ ؟ إنه لَعِبٌ، إذا قِيسَ بجماعِ (رُسْتُمَ) أو غيره مِنَ الأبطال» !!

ماهية الجماع عند الطفل !!

وقال في جـ٣ (٣٦٣٧) :

«لا يعرفُ الطفلُ ماهيةَ الجماعِ !! لكنْ أرأيتَ الحَلْوَى ؟ فإن قلتَ له: هيَ مُلِذَّةٌ مثلُها، فذاكَ شيء آخر !! ولكنْ أيُّها الرَّجُل الملتصِقُ بالتقليد، أَتُشْبِه اللذةُ في الجماعِ لذةَ الحلوى ؟ أين هذه من تلك !! بَيْدَ أنك كالطفل، فلذا جاءك ذاك الرَّجُل العاقل بهذا المثالِ بطريقةٍ مُثلى. وإن لم يُدرِكِ الطفلُ ماهيةَ الأمرِ وحقيقتَه، فإنه على الأقل يفهمُ بالمثال !! فإنْ قلتَ بعد هذا المثال: قد عرفتُ هذا، لم تُخطيء، بل أصبتَ، وإن قلتَ: ما عرفتُ لم يكن قولُك كذبًا واختلاقًا أيضًا» !!

امرأةٌ وعشيقها وشجرةُ الكُمَّثْرَى :

قال في جـ٤ (٣٥٤٤):

«أرادَتِ امرأةٌ أن تَلْقَى عشيقَها وتُضاجعَه، أمامَ ناظريْ زوجِها الأحمقِ، فقالت لزوجها: يا محظوظُ، أريدُ أن أعلوَ الشجرةَ فأقطفَ الثمار، فحين أذِنَ لها وعَلَتِ الشجرةَ نظرتْ إلى زوجها وأخذتْ في البكاء، فقالتْ: أيُّها المأبونُ المنبوذُ! مَنْ ذلكَ اللوطيُّ الذي اعْتَلاكَ، فأنتَ تحتَهُ كالنساء، إنكَ لمخنَّثٌ مَأْبونٌ ! فقال زوجها: أغلبُ الظنِّ أنه قَدْ دِيرَ بكِ، إذْ ليس ثمَّةَ

أحدٌ غيري !! ، فأصَرَّتِ المرأةُ وأعادتِ القولَ غير مرة: تَكَلَّمْ !! مَنْ هذا الوَغْدُ، ذو القُلنسوة الذي ركبكَ ؟ فقال الرَّجُل: اِنْزِلي يا لَكاع مِنَ الشجرة، قد دِيرَ بكِ - لا جَرمَ - وأصابكِ البَلَهُ بحقٍّ.

فنزلتِ المرأةُ وتسلَّقَ زوجُها الشجرةَ، فجَذَبَتِ المرأةُ عشيقَها إلى صدرها! فما هو إلا أنْ رآهما الزوجُ، فصرخَ قائلًا: أيا قحبةُ، مَنْ هذا الرَّجُل الذي عَلاكِ كالقِرْدِ ؟!! فقالت المرأة: أَفِقْ يا هذا، لا أحدَ هنا غيري !! ظاهرٌ أنكَ أنتَ مَنْ قد دِيرَ برأسِه، فلا تَهذي !!

ومعَ ما كان الرَّجُلُ يعيدُ هذا الكلامَ مرةً ومرةً، فقد كانتِ المرأةُ تقولُ: يبدو أنَّ ما تراه بتأثير شجرة الكُمَّثرى! فقد رأيتُ وأنا عليها أشياءَ كهذه أيضًا. أيُّها المحتالُ!! انزلْ ثُمَّ انظرْ، ما هنا أحدٌ سوايَ، كلُّ هذهِ الخيالاتِ مصدرُها شجرةُ الكمثرى !!».

ليس المثنوي كشَّافًا إلا لحقيقةِ ناظمِهِ :

مرَّ بِكَ قولُ الرومي في (مقدمة المثنوي): إنَّ كتابَه تنزيلٌ من ربِّ العالمين، وإنه كشافٌ للقرآنِ، كلامِ الله ﷻ، عَوْذًا بالله مِنْ ذلك ولِياذًا، والحقُّ أنَّ مَنْ كان خاليَ الذهن، وقرأ هذه المعاني في القصة تيَقَّنَ كَذِبَه. حسبُ المثنوي أن يكون كشَّافًا للمَوْروث الشعبي لناظمه ولأهل عصره، وإليكَ أبياتٌ «معنويَّةٌ» - كما يحلو للمثنويِّين وصف كتابهم - مُحَمَّلَةٌ «بحِكَمٍ» صوفيةٍ، اقتبسَها الروميُّ من قصة من قصص ذلك الموروث «أبطالها»: حمارٌ، وقَرْعَةٌ، وشاذَّتان !!

واعلمْ أنَّ في ترجمتها إيقاظًا لمن هُمْ في سُبات الغفلة مِنَ العرب في شأن الرومي، الذين صدَّقوا أبياتًا نُسبتْ إليه وهي: (مَنْ بَنْدَهءقرآنم...، مَن خاك

راه محمد مختارم...). إلخ وترجمة هذا الزعم بأنه عبدٌ للقرآن، وأنه ترابُ طريقِ محمد المختار ﷺ، وسترى الآن - مع ما رأيتَ - أنَّ ذلك لو صحَّ عنه فإنه من مزاعمه الفارغة فراغَ وَصْفِهِ لـ(مثنويِّهِ) بأنه «تطييبٌ للأخلاق» !! وأيُّ أخلاقٍ رَامَ تَطْيِيبَها حِينَ عَرَضَ في بعضِ قَصَصِهِ الهابطةِ إلى تفصيلِ مَنْ قد رأى وسَمِعَ كأنَّه عَدَّ صَنِيعَهُ ذاكَ مِنْ جُملة: «الغرائب والنَّوادر، وغُرَر المقالات، ودُرَرِ الدلالات، وطريقة الزهادِ، وحديقة العُبَّاد»!!، وربما ستَلْحظُ أنه كلَّما كانتِ القصة أكثرَ شذوذًا في وقائعها كان وَلَعُهُ بزيادة التفصيل فيها أشَدَّ - كما في هذه القصة التالية - حَتَّى إنه لم ينسَ ذكر صوت العملية الجنسية، في بعض تلك القصص، وما خَجِلَ مِقْدارَ أنملة وهو يُملِيها على مريده، فَتَمَّ لهُ بذلكَ الجَمْعُ بَيْنَ غوايته الكُبرى في زعمه أن المثنوي تنزيلٌ من الرحمن عليه، وهُبُوطِهِ الأخلاقي في ذكر قصصه مفصَّلَةً، ومعَ جمعه بين هاتين الضلالتين لمْ يتردَّدْ شارح المثنوي (صاري عبد الله) في القول: «نزل هذا المثنوي الشريف من رب العالمين، ذي الجلال، جُملةً واحدة، في ليلة القدر إلى سماء القلب، ثُمَّ نَطَقَ به مُنَجَّمًا على قَدْر الحاجة، بواسطة جبريل العقل، وقد تَنَزَّل بطريق الفيض والإلهام»[1] ومُسَلَّمةٌ لدى الصوفية لا نقاشَ حولها أنَّ معنى الوحي للنبي والإلهام للولي واحدٌ، وإنما رُوعِي جانبُ التأدُّبِ معَ الشريعة في اختيار اللفظة.

---

(١) شرح المثنوي بالتركية، مخطوطة قونية، الورقة ٢٢.

وأخبثُ مما سبقَ قولُ **عبد الغني النابلسي**، حين أعلن بصريح عبارةٍ شَمِلَتْ (قصة الحمار والقرعة والجارية)، فقال عن المثنوي: «إنه وحيٌ إلهاميٌّ، وكلامٌ إلهيٌّ سامٍ، نَزَلَ به مَلَكُ الإلهامِ مِن حضرةِ ذي الجلالِ والإكرام، على قلبِ الوارثِ المحمدي...»، فهو عنده: «منظومٌ بالوحيِ الإلهاميِّ، والتَّرتيبِ الرُّوحانيِّ الصَّمَدانيِّ، لا بالحظِّ النفسانيِّ، فهو منسوبٌ إلى الإلهِ تعالى جَمْعًا، وتَقْسِيمًا، وتبويبًا !!».

وقال:

بكتابِ المثنوي طابَ الوُجُودْ ... وتَوالى كُلُّ إنعامٍ وَجُودْ

وبهِ الألبابُ منَّا فَرِحَتْ ... بعُقُودٍ هِيَ مِنْ أبهى العُقودْ

فهوَ وحيُ الله في إلهامِهِ ... يُخْرِجُ المطْلَقَ مِنْ كُلِّ القُيُودْ

وهوَ بحرُ العِلم فيهِ قَدْ سرَتْ ... سُفُنُ الكُلِّ إلى دار الخُلُودْ

وهوَ قُرآنٌ وفُرقانٌ لمَنْ ... عَرَفَ اللهَ على رَغْم الحَسُودْ[1]

ولكَ أن تقول: إن إعجاب النابلسي بالجلال الرومي، انعكس على منظوم النابلسي، فكانت منه أبيات هابطة منها قوله:

(١) أوردها في رسالتيه: العقود اللؤلؤية، والصراط السَّوي، قلت: لم أعجب كثيرًا حين أخبرني نقشبندي في (قونية) هو الأستاذ محمد أمين أوغلو بكلمة سمعها من خاله علي قدسي، وهو من علماء الترك النقشبنديين الذين ينصرون القول بوحدة الشهود لا الوجود. قال محمد أمين أوغلو لي يومًا ونحن في مكتبة متحف(قويون أوغلو): قال لي خالي علي قدسي: إن عبد الغني النابلسي (ماسوني) !! ثم قال: لا لن أكمل لك ما سمعته من خالي لأنك تكتب عني ما تسمعه وتنشره. قلت: وما عليَّ لو لم تَزِدْ حرفًا فقد فُهِم الكلام، ويُذكر هنا أن بعضَ النقشبندية القائلين بتوحيدهم الشهودي يذمون من يقول بالوجودية منهم.

وزُفَّتْ عروسُ القُرْبِ ليلةَ قدرِنا وفي ذكر الذكر استلَذَّ المجامعُ
وإنزالِه القرآنَ قد حَمَلَتْ به فُرُوجُ قُلُوبٍ بالعلومِ تدافعُ[1]

يا (رجالَ الفكرِ والدعوةِ في الإسلام)، يا كُتَّاب (رابطة الأدب الإسلامي) إليكم ترجمة قصةٍ من معنوي المثنوي، تحذِّر من الشهوة الآثمةِ، أتقبلون عَمَلًا أدبيًا مِن متسابق حَذا حَذْوَ الرومي فيها مِنَ التصريح، يَثِبُ على الألفاظ لا يُبالي أيًّا كانت ؟

قال جلال الرومي في جـ ٥ رقم (١٣٣٣) :

«دَرَّبَتْ جاريةٌ تَفُورُ شهوةً حمارًا على أنْ يُجامِعَها. ثَقِفَ هذا الحمارُ الجماعَ حَتَّى أتْقَنَه، وكانَ لهذهِ المحتالةِ قَرْعَةٌ، اتَّخَذَتْها وقايةً مِنْ أيْرِ الحمار أنْ يَلِجَ كلّه فيها حِينَ سِفادِه، فلَوْ أَوْلَجَهُ كلَّه لتَقَطَّعَ رَحِمُها، ولَتَمَزَّقَتْ عُروقُها، فكان ما يَلِجُ مِن أيْرِ الحمارِ نصفَهُ.

كان الحمارُ في ضعفٍ وهُزالٍ مستمرٍ، وكانت سيدتُها تعجَبُ قائلةً: لِمَ يَضْعُفُ هذا الحمارُ؟ما سببُ هُزالِه هذا الذي جَعَلَه كالعُودِ؟! أعْجَزَها التفكيرُ، ولم تعرفِ السببَ. أوْقَفَتِ البَيْطَرِيِّينَ عليه، لِيُخبروها عن سببه، فلَمْ تَظْهَرْ لهم أيُّ علَّةٍ له، و جَهِلُوا خَبيءَ الأمرِ.

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (١/ ٢١٤).

فجَعَلَتْ تبحثُ عن السببِ مجتهدةً فيه، تَبغِي الوقوفَ على ما أهزَلَ حمارَها، فصارتْ تُراقِبُه مِنْ كَثَبٍ. على الإنسانِ أنْ يكون عبدًا للبحثِ الجادِّ، فإنَّ مَنْ بحثَ عن شيءٍ جادًّا في البحث، حصلَ عليه في النهاية !!

وبَيْنا تراقبُ أحوالَ الحمارِ إذا بها ترى جارِيَتَها تنامُ تحتَه، فيا لِما رَأتْ!! رَأتْ هذا مِنْ خَلَلِ البابِ فلَشَدَّ ما كانَ عجبُها، كان الحمارُ يَنكِحُ الجاريةَ نكاحَ الرجالِ للنساءِ، مُتْقِنًا عَمَلَه، فتَمَلَّكَها الحسدُ، وحَدَّثتْ نفسَها قائلةً: أمَا والأمرُ ممكنٌ هكذا، فإنَّني أَوْلى بذلك منها، لأنني مالكةُ الحمارِ، ولقد تهذَّبَ الحمارُ وصارَ مُدَرَّبًا، والمائدةُ مُعَدَّةٌ والمصباحُ مشتعِلٌ. فتظاهرَتْ بأنها لم ترَ شيئًا، ودَقَّتْ بابَ الإسطبلِ قائلةً :

يا بِنتُ ! إلى متى تَمكُثِينَ في الإسطبلِ تَكْنُسِينَهُ ؟! قالتْ هذا كَمَنْ يقولُ: جِئتُ فافْتَحِي البابَ، سَتْرًا لأمْرِها وتَعْمِيَةً.

سَكَتَتِ السيِّدةُ ولم تُفاتِح الجاريةَ بشيءٍ، وأخْفَتْ أمرَها إذْ طَمِعَتْ فيه! ودَسَّتِ الجاريةُ جميعَ أدوات الفسادِ، ثمَّ تقدَّمَتْ وفتحتِ البابَ، وجعَلَتْ تُقَطِّبُ وجهَهَا، وتُدْمِعُ عينَيْها وتَتَلَمَّظُ كأنها صائمةٌ، وبِيَدِها مِكنسَةٌ مُهْتَرِئةٌ، كالتي تزعُمُ أنها كانتْ تَكْنُسُ الإسطبلَ لِيَنامَ فيه الدَّاجِنُ، وعندَ فَتْحِها البابَ - وبيَدِها المكنسَةُ - قالتِ المرأةُ في نَفْسِها: يالَكِ مِنْ أُستاذَةٍ محتالةٍ، أَخَذْتِ المكنسةَ، وقَطَّبْتِ وجهَكِ، حَسَنًا ولكنْ ما حالُ الحمارِ الهزيلِ هذه ؟ غَضْبانَ أنْ قُطِعَ عليه عَمَلُه، عيناهُ على الباب يتحَرَّكُ أيرُه ينتظِرُكِ!! قالتْ هذا في نَفْسِها، وخبَّأتْهُ عن الجاريةِ، وخاطَبَتْها في لُطْفٍ، كأنها بريئةٌ عندها، وقالتْ: أسْرِعِي،

وضَعِي الخِمَارَ على رأسكِ، واذهبي إلي بيتِ فلانٍ، وسَلِّمِي عليهم، وقولي: كذا، وافعلي كذا وكذا، كائنًا ما قالتْ، فإنِّي مُختصِرٌ لكَ حكاياتِ النساءِ !!، عليكَ بِلُبِّ المقصودِ وخُلاصَتِه!![1].

وما إنْ أرْسَلَتْها - تلكَ الشَّمْطاءُ - حَتَّى غَلَّقَتِ البابَ، وقالتْ في سَكْرةٍ مِنَ الشهوةِ: أوه !! قد اخْتَلَيْتُ الآنَ، فلأصْرُخْ شُكْرانًا لذلكَ، ثُمَّ وَداعًا لِجِماعِ الرجالِ، الكاملِ تارةً، والناقصِ أُخرى !!

انْتَشَتْ فَرْحَةً، وسُرَّتْ سُرُورَ مِعْزاةٍ بَلْ ألفِ مِعْزاةٍ، شهوةً للحمارِ، فما قَرَّ لها قَرارٌ، وما المعْزَى ؟ إنَّ الشَّهْوةَ تُصَيِّرُ المرأةَ مِعْزاةً، ولاغَرْوَ أنْ تفعلَ ذلك بالحمقى، حينئذٍ تَصُمُّ الشهوةُ القلبَ وتعمِيهِ، وتُظْهِرُ الحمارَ في جمالِ يوسفَ تمثالًا مِنَ البَدْرِ يَتَلأْلأُ[2].

وغَلَّقَتِ المرأةُ البابَ، وجَذَبَتِ الحمارَ إليها مسرورةً جَذِلةً، ولقد ذاقَتْ وبالَ أمرِها، جعَلَتْ تُجاذِبُ الحمارَ حَتَّى أَتَتْ بهِ وَسَطَ الإسطبلِ، واستلْقَتْ تحتَ ذلك الحمارِ الفَحْلِ !!، استَلْقَتْ هاتِيكَ القَحْبَةُ على المنَصَّة التي رَأتِ الجاريةَ مُسْتَلْقِيَةً عليها، ورَفَعَتْ ساقَيْها، فأَوْعَبَ الحمارُ فيها أيرَهُ !! فما هيَ إلَّا نارٌ أُوْلِجَتْ في أحشائها معَ الأيرِ. أَوْلَجَ الحمارُ المدَرَّبُ أيْرَهُ حَتَّى خُصْيَيْهِ، ولحظتئذٍ

---

(١) إن كان هذا اختصار الرومي لهذا الفسوق، فكيف يكون تفصيله ؟!

(٢) وله على هذه الشاكلة بيت في موضع آخر في جـ ٥ رقم (٣٧١٥) قال فيه: وإنَّ مِنَ القِحابِ لَقَحْبَةً يُصَيِّرُ حِراكُ الأيرِ عقلَها إلى فأرةٍ، و شهوتَها إلى أسَدٍ !!

وقال في جـ ٤ رقم (١٩٥٢) :

إن كنتَ لطيفًا وقلبكَ مضيء فاعلم هذا جيدًا: لا لذة في تقبيل استِ الحمار !!

هَلَكَتِ المرأةُ وتَقطَّعتْ أحشاؤُها، وتمزَّقَتْ أوْردَتُها مِنْ طَعْنَةِ أيْرِ الحمار[1]. ماتَتْ ولمَّا تستَطِعْ أنْ تُعاوِدَ النَّفَسَ، سقَطَتْ مَيِّتةً على جانبٍ، وسقطَ المقعَدُ على جانبٍ، وامتَلأَ الإسطبلُ بالدِّماء.

مِيتَةُ السَّوْءِ سَلَبَتْ روحَها مع مئين مِنَ الفضائح، فهَلْ رأيتَ قطُّ شهيدًا في سبيل أيْرِ حمارٍ ؟! استَمِعْ مِنَ القرآن إلى ﴿ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ ﴾ [يونس: ٩٨] واحذَرْ أنْ تَهْلِكَ بِمِثْلِها مُخْزِيَةً.

اعلَمْ: أنَّ هذِهِ النفْسَ البَهِيمِيَّةَ حمارٌ فَحْلٌ، أمَّا الاستِلْقَاءُ تحتَها، فأشَدُّ قُبْحًا، وأَسْوأُ مَصِيرًا، وإذا ما مِتَّ في سبيلِ النَّفْسِ وأنانِيَّتَها، فأنتَ في الحقيقة مثل تلك المرأة، قد صَوَّرَ اللهُ لنا النفْسَ في صورة حمار! فيخلقُ النفسَ وما وافقَها من الطبائعِ، هذه هي الأسرار المكشوفةُ يومَ القيامة ! نشدتُكَ اللهَ إلا ما هَرَبْتَ مِنَ النفسِ الشَّبيهةِ بالحمارِ.

قد خوَّفَ اللهُ الكفارَ بالنار، أمَّا هُمْ فقد قالوا عنها: النارُ ولا العارُ، فقال الله: بلْ هذه النارُ هيَ أصلُ العارِ. مثلُ النارِ التي قتلتْ تلكَ المرأةَ، مِن حِرْصِها لم تأكلْ قَدْرَ شِبَعِها، فغَصَّتْ بلُقْمَةِ مِيتَةِ السَّوْءِ، فكُلْ لِشبَعِكَ أيُّها الرَّجُلُ الطَّمِعُ، ولو كان طعامُك حلوى وفالوذَجَ.

قد أعطى اللهُ للميزان لسانًا فتنبَّهْ، واقرأْ من القرآن سورةَ الرحمن، ارجعْ لنفْسِكَ ولا تَتْرُكْ مِنْ طمَعِكَ الميزانَ، فالحرصُ والطمعُ هما عَدُوَّاك المغْوِيانِ.

---

(١) كان الروميُّ مولعًا بديوانِ أبي الطيب المتنبي فهل تمثل له هنا قوله :

وطَعْنٍ كأنَّ الطعنَ لا طعنَ عندَه ... وضربٍ كأنَّ النارَ مِنْ حَرِّه بَرْدُ !!

الحرصُ يُطمِعُكَ في الجميع، لكنه يَحْرِمُكَ الكُلَّ، فلا تَعْبُدْ حِرْصَكَ يافِجْلَ بن فِجْلٍ !!.

غادَرَتِ الجاريةُ المكانَ وهيَ تُحدِّثُ نفسَها قائلةً: آه منكِ يا سيدتي، أرْسَلْتِ أستاذتَكِ، وأَرَدْتِ أن تَعْملي في غَيْبَتِها، فبِجَهلٍ ما خاطَرْتِ بروحكِ. سرقتِ مني عِلمًا، ولكنك خجِلْتِ أن تسألي عن أحوالِ الفَخِّ. كان على الطَّيْرِ أن يَلتَقِطَ الحَبَّ، ويحذرُ من وقوعِ حَبْلِ الفخّ في عُنقِه.

أقْلِلْ أكْلَكَ الحَبَّ، لا تكن شَرِهًا، فكما قرأتَ أمرَ: ﴿ كُلُوا ﴾ اقرأْ نهيَ: ﴿ ولا تُسْرِفوا ﴾ وما لم تأكلِ الحبَّ، فلنْ تقعَ في الفخِّ، هذا نتاج العلم والقناعة، والسلام. العاقلُ يأكلُ من نِعَم الدنيا، ولا يتجرَّعُ الغَمَّ، أمَّا الجهلةُ فيَقَعون في الندامةِ ويُحْرَمون، فإذا ما التَفَّ حبلُ الفخِّ على أعناقِهم صارَ أكلُ الحَبِّ حرامًا عليهم أجمعين، كيفَ يَرومُ الطيرُ أكلَ الحبَّةِ وهوَ في الفخِّ ؟ أمَا إنَّه لو أكلَها لتحوَّلَتْ إلى سمٍّ زُعافٍ! لكنَّ الغافل مِنَ الطيرِ يأكلُ الحبَّ في الفخ، أَكْلَ أراذلِ الناسِ مِنْ فخِّ الدنيا، والعاقلُ من الطيرِ الفاهماتُ الممتنعاتُ عن أكلِ الحَبِّ تمامًا لأن حَبَّ الفخِّ مسمومٌ، وأعمىً ذلكَ الطائرُ الذي تَطَلَّبَ الحَبَّ مِنَ الفخِّ إذْ سيقطعُ صاحبُ الفخِّ رؤوسَ الحمقاواتِ، أمَّا الجميلاتُ فيأخذهُنَّ إلى مجلِسِه، والحمقاواتُ لا يُنتفع إلا بلحومهنَّ، أما ظِرافهُن فيَصْلُحْنَ للغِناء والتغريد.

فلما عادتِ الجاريةُ نظرتْ من شقِّ البابِ، فرأتْ سيدَتَها ميتةً تحتَ الحمارِ، فقالتْ: أيا حمقاءُ ما هذه الحالُ ؟ لقد أَرَتْكِ أستاذتُكِ شيئًا فانخدعتِ بالظاهرِ

منه، و بقيَ خبيءُ الأمرِ مجهولًا عندكِ لقد فتحتِ دكانًا قبلَ أن تُحكمِي الصَّنْعَةَ!! عَرَفنا أنكِ رأيتِ أيرَ الحمارِ - وهو كعَسَلٍ أو كفالوذجٍ - ولكن يا حريصةُ كيف لمْ تَرَيْ القَرْعةَ معه أيضًا ؟!

أتُراكِ غرقْتِ في عشقِ الحمارِ بالقَدْرِ الذي صَدَّ عينيكِ عن رؤية القرعة ؟! لقد رأيتِ ظاهرَ الصَّنْعةِ من أستاذتِكِ، فحاولتِ - وأنت فرحة - تقليدَها، كَمْ مِنَ المرائين ومَنْ لا يفهمُ مِنَ الحمقى مَنْ لا يقتبس مِن نهج الأولياءِ إلا عباءةَ الصوف !! كَمْ مِن ذوي الحِرصِ الأراذلِ قليلي العلمِ مَن لم يُفِدْ مِن ملوكِ الطريقة إلا الثرثرةَ.

صار كلُّ مَن يحملُ في يده عصا يصيحُ: أنا موسى، و آخر يَنْفُخ في وجوه الحمقى يقول: أنا عيسى. أوّاهُ مِنْ يومٍ يُطْلَبُ حَجَرُ المِحَكِّ وصِدْقُ الصادقين فيه، أما البقيةُ فاسألْ عنها الخبيرَ، هؤلاء الحريصون كلُّهم عُمْيٌ وصُمٌّ. بحَثْتَ عن الجميعِ ترومُ حِيازَتَه، لكنكَ تخلَّفْتَ عنهم جميعًا. هذا القطيعُ الأحمقُ أصبحَ صَيْدًا للذئابِ. سمِعْتَ صورةَ كلامٍ فَرُحْتَ تُردِّدُ معانيه مِنْ غير فَهْمٍ، إنكَ لَكَالْبَبَّغاءِ لا تَدري ما تَقولُ».

تعليق :

نشَرَتْ مجلةُ (أكْسِيَونْ) التركيةُ الإسلامية (العدد ٦٥٢ - سنة ٢٠٠٧م) لقاء مع أحد الموسيقيين التُّرك ممن يُعَظِّم الجلالَ الرومي، استوقَفَني فيه ما نقَلَه هذا الموسيقار عن المستشرقة (أيفا ميروفيتش) التي ترجمتِ المثنوي إلى الفرنسية، قال: «قالتْ لي (أيفا ميروفيتش) يومًا: إنَّ في المثنوي قصصًا مكشوفة، وإني أستَحْيي من ترجمتها، لذا سأكتُبها في ترجمتي الفرنسية

باللاتينية. فقلتُ لها: يا سيدة أيفا !! إنْ كان حضرةُ البِير (يعني الجلال الرومي) مَنْ كَتَبَها، فإنَّ تصويبَ ذلكَ ليس مِنْ شأنِكِ، واضِحٌ أنَّ له هدَفًا يَرْمِي إليه حِينَ أَوْرَدَ تلكَ القَصَص. فلَمْ تَسْتَمِعْ نُصحي وجَعلَتْ تلكَ القصص باللاتينية». فاعتبروا يا أولي الأبصار.

حوارٌ (سَدُومِيٌّ) بين مأبونٍ و غلامٍ :

وقال في جـ٢ رقم (٣١٥٥):

«خَوْفُ الغُلامِ مِنَ الرَّجُل العُتُلِّ، وقولُ العُتلِّ له: لا تَخفْ يا بُنيَّ فلستُ برَجُلٍ.

(ترجمة الشعر)

تمكَّنَ عُتُلٌّ ضَخمٌ مِنْ غُلامٍ وظَفِرَ به، فاصْفَرَّ وَجْهُ الغلامِ خشيةَ أنْ يَقصدَه بسوءٍ، فقال له العُتُلُّ: هَدِّئْ مِن رَوْعِكَ يا جَميلي، وَثِقْ أنَّكَ أنتَ الذي سيَرْكَبُ فَوْقي، لا تُلْقِ بالًا لمنظَري، وإنْ بَدَوْتُ مخيفًا، واعلَمْ أني مأبونٌ، فارْكَبْني كما تَرْكُبُ الجَمَلَ وَسُقْ».

زاهدٌ وزوجَتُه الغَيْرَى :

وقال في جـ٥: (٢١٦٣) :

«قال الله في شأن الكافرين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان: ٢٥]، فكذلك الرَّجُلُ الذي يقولُ كلامًا لا يناسبُ الحال، ويَعرِضُ دعواه في معرضٍ غيرِ مقبولٍ، فإنه يُشبه أولئك الكفارَ. كيف يعبدُ امرؤٌ وثنًا نحتَه مِن حَجر، ويُفَدِّيهِ

بمالِه ونفسِه؟، وهوَ معَ ذلك يقولُ بوجُودِ خالقٍ واحدٍ للمخلوقاتِ وللسمواتِ والأرضِ، سميع بصير، حاضر ناظر، ورقيب قدير، وموجود في كل مكان»[١].

(ترجمة الشعر) :

«كان لزاهدٍ مِنَ الزُّهَّادِ زوجةٌ شديدة الغَيرة، و جاريةٌ كأنها من الحُور العِين. كانت المرأةُ تُراقِبُ زوجها غيرةً عليه، فلم تَترُكْه يَختَلِ بالجارية قطُّ. راقبتِ المرأةُ الجاريةَ وسيِّدَها مدة مِنَ الزمان لَمْ تَترُكْ لهما فيها فُرصة للخلوة، وفي نهاية الأمر حَلَّ قضاءُ الله وقَدَرُه، وتحيَّرَ العقلُ الحامي وذَهَبَ، وإذا جاءَ حُكْمُ الله وقضاؤه فمَنْ يكونُ العقلُ ؟ حَتَّى القمر يُخسَفُ !

ذهبتِ المرأةُ إلى الحَمَّام، فما لَبِثَتْ أنْ ذكَرَتْ أنها نسِيَتْ مِغْرَفَةَ الحَمَّام في البيتِ، فقالتْ للجارية: أسرعي كالطَّيرِ فورًا، واجْلبِي المِغْرَفَةَ الفضِّية مِنَ البيتِ، فحِينَ سمعَتِ الجاريةُ هذا الكلامَ بُعِثَتِ الحياةُ فيها رَجاءَ أنْ تُلاقي سيدَها ! قالتْ في نَفْسِها: مِنَ المؤكدِ أنَّ سيِّدي الآنَ في البيتِ وحدَه، ومِنْ فَوْرِها رَكَضَتْ إلى البيتِ يَغْمُرُها الفَرَحُ.

أعوامٌ سِتةٌ والجاريةُ تَرْقُبُ هذه الخلوةَ معَ سيدها، كان هذا أملَها، وطارتْ إلى البيتِ فألْفَتْ سيِّدَها وحيدًا، غَمَرَتِ الشَّهوةُ العاشِقَيْنِ، وأنزَلَتْ حِجابًا على عُقولهما وأبصارِهما، فما خَطَرَتِ الحَيْطَةُ لهما ببالٍ، فلَمْ يُغْلِقا البابَ !

---

(١) هذا تساؤلُ مَنْ يَرى الوجود واحدًا، والرجل حلولي له كلمات تُوهِم أنه وجودي، قال في مثنويه: مثنوينا دكان الوحدة، فكل ما عداه فهو وثن !!

تعانقا مُبْتَهِجَيْن واتَّحدا، وكأنَّ رُوْحَين - في تلكَ اللَّحظةِ - غَدَتْ رُوحًا واحدةً، في تلكَ الأثناءِ رجَعَ إلى المرأةِ عقلُها، وهيَ في الحمّام، كيفَ وقعَ الأمر، وأرْسَلْتُ هذهِ الفتاةَ إلى البيتِ ؟ كأنّي ألقَيْتُ بالنار على القُطْن! وأطْلَقْتُ الخَرُوفَ على الشَّاةِ !!سرعانَ ما غَسَلَتْ عن شَعْرها الصابونَ، وانْطَلَقَتْ مَنْزُوعَةَ الرُّوحِ وراءَ الجارية، تَجري وتَضَعُ الخِمارَ على رأسِها. جَرَتْ تلكَ الجاريةُ بدافعِ الحُبِّ بِرُوحِها، أمَّا هذه فالخوفُ أرْكَضَها !!، أيْنَ العِشْقُ مِنَ الخوفِ ؟! شتَّان ما هما.

والخُلاصةُ، أنَّ المرأةَ وصَلَتْ إلى البيتِ وفَتَحَتِ البابَ!! فلما وصَلَ صَريرُه إلى آذانِهما وَثَبَتِ الجاريةُ مُنْدَهِشَةً قد غَمَرَها الخوفُ، ووقفَ الرَّجُل مِنْ فَوْرِهِ يُصَلِّي، فلمَّا رأَتِ المرأةُ اضطرابَ حالِ الجاريةِ، وزوجُها قائمًا يصلِّي، اِرْتابَتْ في الأمر، وإذْ بها تأخذُ بطَرَفِ ثَوْبِهِ وتَرْفَعُه ! فإذا أيرُه يَقْطُرُ مَنِيًّا، وعلى خُصْيَيهِ وساقِهِ ورُكْبَتِهِ فَضَلاتُه، فَصَفَعَتْهُ على رأسِهِ قائلةً: أيَا نَذْلُ، أهذِهِ حالُ خُصْيَي مَنْ قامَ يُصَلِّي ؟! أَذِكْرًا لله وصلاةً، وفَخِذاكَ وأيْرُكَ مُلَوَّثان بهذا القَذَر ؟».

قصةُ الفقيهِ المفْتُون، والملِكِ ومجلسِ الخمر :

قال في جـ٦ (٣٩٢٩) :

«شَرِبَ مَلِكٌ الخمرَ في مجلسٍ حَتَّى ثَمِلَ، فكانَ أنْ مرَّ فقيهٌ ببابِهِ، فأمَرَ أنْ: أحْضِروا هذا المجلسَ، وقَدِّموا له الخمرةَ ذاتَ اللَّونِ القرمزي ! فجاؤوا به المجلسَ - وقد تَمَنَّعَ - حَتَّى أقعدُوه، ووجهُه عَبُوسٌ كأنه سمٌّ أفعى.

قَدَّموا له الخمر، فلَمْ يَشْرَبْها، وأشاحَ بوَجهِه عن الملكِ وعن الساقي، وقال مُتَغَضِّبًا: ما شربتُ الخمرَ قطُّ، ولَسُمٌّ زُعافٌ أحَبُّ إليَّ منه، ألا هَيَّا فاسقوني السمَّ بَدَلًا عنها، حَتَّى أنجوَ منكم، وتنجون مِنِّي، وجعلَ يُعَربِدُ ولَمَّا يَشْرَبْ خمرًا، فسَرَتْ في المجلس حالٌ كالموتِ ثِقَلًا، حالٌ كحالِ أهلِ الدنيا المنغَمِسين في وَحْلِها إذا جلسوا إلى أهل القُلوب !! إنما يَسقي اللهُ خاصَّتَه في عالمِ السِّرِّ مِنَ الخمرةِ التي يشربُها الأحرارُ.

قال الملكُ للسَّاقي: يا مباركَ الأثرِ، مالَكَ تَسْكُتُ ؟ هيَّا، صَيِّرْهُ إلى حالٍ مُعْجِبةٍ، أَبْهِجْهُ نَشْوَةً. أَنْزَلَ السَّاقي بضْعَ صَفَعاتٍ على رأسِ الفقيهِ، وقَدَّمَ له قَدَحَ الخمرةِ وقال: خُذْ. فأخذَ الفقيهُ المسكينُ القدحَ خوفًا مِنَ الصَّفْعِ وشَرِبَهُ، ولما شربَه عادَ ثَمِلًا، وأخَذَتْهُ النَّشْوةُ، وجعلَ يَضْحَكُ كالبُسْتَان، وبدأ في المزاحِ والسُّخريةِ والمنادمةِ، أمْسَى في حالٍ يَقْبِضُ معها على الأسَدِ، ومِنْ نَشْوَتِه جعلَ يُفَرْقِعُ أصابعَه، ثُمَّ ذهبَ إلى المرحاض ليبُولَ، فألْفَى هناك جاريةً كأنها القمرُ ليلةَ تمِّه، كانتْ حَظِيَّةً مِنْ حظايا الملكِ فائقةَ الحُسْنِ، فما رآها الفقيهُ إلَّا وفَغَرَ فاهُ، ونَدَّ عقلُه، فنَشَبَ بها وتَشَبَّثَ.

كان عَزَبًا مدة عُمرِه، في حالٍ مِنَ الصبابةِ إليهن عظيمٍ، وزادَ الآن فسَكِرَ، فسرعان ما ضَمَّهَا إلى صدره، فجَعَلَتِ الجاريةُ تَصْطَفِقُ بيْنَ يدِيْهِ، وصَرَخَتْ صرخةً ذهبتْ سُدًى، لأنَّ المرأةَ عندَ الجماعِ تصيرُ في يدِ الرَّجُل كالعجينِ في يَدِ الخَبَّاز !! يَعْجِنُها في رِفْقٍ حِينًا، وحينًا في شِدَّةٍ، حَتَّى يُخْرِجَ منها أصواتًا تقولُ: جاقْ جاقْ !! تارةً يَمُدُّها مُسَطَّحةً فوق اللَّوحِ، وتارةً يَلُمُّها كُتْلَةً، يَصُبُّ عليها الماءَ حينًا، ويَذُرُّ الملح حينًا، وحينًا يَبْسُطُها في تَنُّورِه فيعلمَ عِيارَها بنارِه، وهكذا اِلْتِفافُ الراغبِ على المرغوبِ فيه، هكذا طَيُّه وثَنْيُه!! مَنْ كان تَحْتًا، ومَنْ صارَ

فَوْقًا، هما في هذا اللَّعِبِ سواءٌ، ليس هذا اللَّعِبُ حَصْرًا على الزوج وزوجتِه !!
إنه معتادُ كلِّ عاشقٍ ومعشوقِهِ».

ثمَّ قال في (٣٩٥٤) :

«وإنما قلتُ: الزوجُ والزوجة - أيُّها الزوج - ليكون ذلك مثالًا، فلا تُعامِلْها بسوء، وأحسِنْ إليها، ألمْ تُمسِكْ بيدِها مَنْ خَطَبْتَها لكَ، ثمَّ سَلَّمَتْها إليكَ ليلة الزفافِ، فهيَ أجملُ أمانَةٍ عندكَ ؟ أيُّها الثِّقَةُ، فاعلَمْ ما أنتَ بصانعٍ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ، فإنَّ اللهَ مجازيكَ بمِثْلِهِ.

والخلاصةُ !! أنَّ الفقيهَ انقضَّ على الجارية، فما بَقِيَ زُهْدٌ لَدَيْهِ ولا عِفَّةٌ، ارْتَمى على الحسناءِ ابْنَةِ الحُورِ العِينِ، وأضْرَمَتْ نارُه قُطْنَها، تَلاقَتِ الرُّوحانِ، وجَعَلَتِ الأجسامُ تَتَثَنّى وتُطْوَى، وعادا يَرْتَعِشان كطيرٍ ذَبيحٍ، فما مجلِسُ الخمرِ عندَه ؟ وما الملِكُ ؟ وما الأسَدُ ؟ وما الحياءُ ؟ وما الدِّين ؟ وأيْنَ الخوفُ، والهَلَعُ ؟ قد شَخَصَتْ عيناهُ، فما يَرَى شيئًا، وتلكَ لَحَظاتٌ لا تُبصِرُ العينُ فيها حَسَنًا ولا حُسَيْنًا.

طالَ لُبْثُ الفقيه، وأنَّى سبيلُ العَوْدَةِ ؟ وتجاوَزَ انتظارُ الملكِ الحَدَّ، فذهبَ الملكُ ليَرَى الأمرَ الذي حَبَسَهُ عنه، فرأى هناكَ زَلْزَلَةَ الساعةِ، فَهَبَّ الفقيهُ فَزِعًا، و مَضَى إلى المجلسِ، وخَطَفَ كأسَ الخمرِ كشرارةٍ.

غَضِبَ الملكُ وكادَ يَتَمَيَّزُ غَيْظًا كالجحيم، وأمسى متَعَطِّشًا لِدَمِ هذَيْن المجرمَيْنِ. ساءَتْ حالُ الفقيهِ لمرأى الملِكِ، وقد اشْتَدَّ غضبُه، وأصبحَتْ حالُه مثلَ حالِ كأسِ السُّمِّ: مُرَّةً ودامِيَةً، وقال للسَّاقي: يا هذا هَلُمَّ وَيْحَكَ، مالَكَ تجلسُ

كالأحمقِ هكذا ؟ اعْجَلْ و أطْرِبِ الملكَ وأفرحْ فؤادَهُ، فضحكَ الملكُ وقال: أيُّها الرَّجُل العظيمُ، قد طابَ فؤادي، فَلْتكُنِ الجاريةُ لكَ !!».

تعليق :

لو سئلَ الذينَ يُقدِّسُونَ المثنوي، ويزعمُونَ أنَّ مطالعتَهُ تُداوي النفوسَ، كذاكَ الصوفيِّ الذي قال: «سأعالجُ قلبي بقراءة نحو ورقتين من كتاب المثنوي الشريف لمولانا جلال الدين القونوي قُدِّس سرُّه، وأُذْهِبُ ظُلمتَه -إنْ كانت- بما يحصلُ لي مِنَ الأنوار حالَ قراءته»[1]، لو أنَّ أمثالَ هذا البائسَ قلَّبُوا صفحاتِ المثنويِّ فوقعَتْ أعينهم على هذه القصة أكانت (الأنوار) تجري إلى قلوبهم فحسب؟.

إلهامُ الروميِّ لا يَعرفُ كنايةً :

قال في جـ٢ (٣١٦) :

«وما عِلمُكَ بلذة الصَّبْر أيَا مَنْ قلبُكَ مِنْ زجاج وبخاصَّة إنْ كان صبرًا عن حِسَانٍ مثل حِسَان (شَكَل). إنَّ لذةَ الرَّجُل في الغَزْوِ، في الكَرِّ والفرِّ، وأمَّا المُخَنَّث فلا يَلَذُّ إلَّا الأيْرَ، لا وِرْدَ له غيره، ولا دِينَ إلا له سِواه، إذْ كان تفكيرُه في أسفلَ منه دائمًا، فلو تَسامى وترفَّعَ إلى السماء (لأفلح)، فلا تخشَ جانِبَه لأنه قد حَذِقَ دَرْسَه في عشقِ التَّسَفُّل».

العبدُ المخدوعُ (فَرَجُ) :

(١) روح المعاني، للآلوسي (٢٨/ ٣٥).

قال في جـ٦ (٢٥١) :

«عَشِقَ عبدٌ هنديٌّ - خِفْيةً - ابنةَ سيِّده، فزوَّجوها ابنَ كبيرٍ من الكبراء، فلما سمِعَ بذلك العبدُ مرضَ، وجعَلَ فؤادُه يتحرَّقُ، فلا الأطباءُ فهِمُوا عِلَّتَه، ولا هوَ بقادرٍ على بَثِّ ما بِهِ.

كان لسيِّد ثَري عبدٌ هندي غذَّاه وربَّاه وعلَّمَه العلمَ والأدب، وأشعل في قلبه جذوةَ الحِذْق، ربَّاهُ ذلكَ الرَّجُلُ الخيِّرُ على الدَّلال منذ طفولته، واكْتَنَفَهُ بلُطفِهِ، وكان لهذا السيد الغَنيِّ ابنةٌ حسناءُ فِضيَّةُ البَدَنِ، حَسَنة الخَلْق والخُلُق، ولما بلَغَتِ الفتاةُ سِنَّ الزواج توافَدَ الخُطَّابُ في طلبها، يُمْهرونها المالَ الكثيرَ، أقْبَلُوا مِنْ كلِّ صَوْبٍ: الشريف، والعظيم، يخطبونها، وكان السيد يقول: لا ثباتَ للمال، يأتي بليلٍ، ويَتفرَّقُ في النهار».

(حَتَّى قال) :

«وانتَشَرَ خبرُ زواج الفتاة، وأُجْرِيَتِ الخطبةُ وأُرسِلَتِ الأقمشة، وقُدِّمَتِ الهدايا وكان في البيت عبدٌ يَفَعٌ، فمرِضَ في هذه الأثناء وتحرَّقَ، وجعلَ يَذْوِي.

كان يذوبُ كالمريض الذي لزِمَتْهُ الحمَّى لم يَفْهَم الطبيبُ ما عِلَّتهُ ! كان العَقلُ يقولُ: إنَّ علَّتهُ علَّةُ الحُبِّ، قد كان قلبُ هذا العبد جريحًا بسبب هذا الغرام لكنه ما استطاعَ أنْ يَبُثَّ ما بِهِ لأحد. قال السيد الغني ذاتَ ليلةٍ لزوجته: سَلِيهِ - ولا تُسمِعي أحدًا - عن حالِه وحَقِّقِي أمرَه إنَّكِ لَبِمَكانِ أُمِّهِ، لا جرَمَ أنْ سيَكْشِفُ لكَ عن مُصابه الذي دَهاهُ، فلما وَعَتِ المرأةُ هذا الكلامَ قصَدَتْ مِنَ

الغَدِ عبدَها، فجعَلَتْ تُدَلِّله بأنواع الدَّلال وتُبدي الرأفةَ به وهيَ تَمْشُطُ شَعرَهُ، فألَانَتْهُ كما تُلِينُ الأمُ الشفوقة (ابنها) وَوُفِّقَتْ إلى سَحْبِ اعترافِه. قال العبد: أهذا ما أمَّلْتُهُ منكِ ؟ تُعْطِين ابنتَكِ لغريبٍ ؟ أتُزَوِّجُ ابنةُ سيدنا بغيري ؟ وأمَرَضُ أنا عشقًا لها ويَحترقُ كَبِدي ؟ أليس هذا باخِعًا نَفْسِي ؟

غضبَتِ المرأة لهذا القول غضبًا تمنَّتْ معه أنْ لو ضربَتْهُ وألْقَتْ به مِنْ سطح الدار. مَنْ يكونُ هذا ؟ ابنُ قحبةٍ، هنديٌّ، كيف يَطْمَعُ في ابنة سيِّدِه؟

حَدَّثتْ بذلك نفسها، وصوَّبتْ أن تَصْبرَ، وقالت لزوجها: اسْتَمِع لهذا العَجَبِ العُجاب!! كنَّا نظنُّه رجلًا يُوثَقُ به أَوَ كُنَّا نتتظِرُ مِنْ فَرْخٍ مثلِه أنْ ينقلَبَ خائنًا ؟ قال السيِّدُ: اصبري، وقولي له: لنْ نُعطِيَها له، سنعْطِيها لكَ فلربما نُخْرِجُ بهذه الصورة ذلكَ الحُبَّ مِن قلبه، اطمئنِّي أنتِ، وانظري كيف سأجعله يَعدِلُ عن هذا الأمر، قولي له: طَمْئنْ قلبَكَ وتَيقَّن أنَّ ابنتَنا زوجَتُكَ على الحقيقة أيُّها الخاطب الجميل، ما عرفنا ذلك مِن قبل، وإذْ قد عرفناه فأنتَ أَجْدَرُ بابنتِنا، نارُنا في كانُونِنَا، ولَيْلاكَ لَيْلانا، والمجنونُ مجنونُنا.

لِيَغْرَقْ في الخيال والتفكير، فالتفكيرُ الطيِّبُ يُسْمِنُ المرء ويُصِحُّه. الحيوانُ يسمنُ بالعُشب، والإنسانُ يكملُ بالمعالي والشرف، الإنسانُ يكملُ بأُذُنَيْهِ، يَحْيَى مِنْ كثرة ما يسمَعُ أمَّا الحيوان فَمِمَّا يأكلُ ويشرب. قالتِ المرأة: كيفَ يَنْطِقُ فَمِي بهذا الشَّيْن و القول المعِيب ؟ كيف أَنْبِسُ مِنْ أجْلِه بهذا العَبَث ؟ لِيَهْلِكِ الخائنُ الإبليسيُّ، قال السيد: لا تخافي، قولي له أنت هذا كي يَبَلَّ مِنْ مرضِه ثمَّ دَعِي لِيَ - بعدُ - يا حبيبتي إذهابَ بَلْواهُ، المِهمُّ أنْ يَبْرأ ذلكَ الماكِرُ. فلما قالت

المرأةُ ذلكَ الكلامَ للعبد المريضِ فرحَ فرحًا عظيمًا، لم تسَعْه أرضٌ ولا سماءٌ، سَمِنَ، وترَعْرَعَ، ورجعتِ الدماءُ إلى محيَّاهُ، وعاد كوردةٍ حمراءَ، وشكَرَها مرَّاتٍ ومرَّات، وكان يقول لها بيْنَ حين وآخر: سيدتي لا يكونَنَّ في هذا الأمر خُدعة.

دعا السيدُ أصدقاءَه ومعارِفَه إلى حَفْلٍ، وقال: إني أُزوِّجُ فَرَجًا، فكان القادمون إلى الدعوة يخدعونَه بالقول: مباركٌ زواجُك يا فَرَجُ!! فأذْهَبَ سماعُه هذا الكلامَ جميعَ شُبَهِهِ فازدادَ صِحَّةً، وشُفِي تمامًا، ثمَّ إنهم احتالوا عليه ليلةَ الدُّخْلةِ، فجاؤوا بشابٍّ فَحْلٍ، فألبسوه زيَّ امرأةٍ وصَبَغُوا يديه وساعديه بالحنَّاء، وزيَّنوه كالعرائس، فكان دِيكًا في صورةِ دجاجةٍ، غَطَّوْا رأسَه، وجعلوا النِّقابَ على وجهِه، وجَهَّزوا ذاكَ الشابَّ الفحلَ في زينة امرأةٍ !!

وحين دَنَتْ ساعةُ الخلوة أطفأَ الشابُّ الشمعةَ، فبقيَ العبدُ الهنديُّ مع الشابِّ المارِدِ وَحيدًا، فلما أقْحَمَ الشابُّ في العبدِ الهنديِّ جعلَ يصرُخُ ويستغيث، بَيْدَ أنَّ أصواتَ الدُّفوفِ في الخارج لم تُسمِعْ صوتَه أحدًا.

كانت أصواتُ الدُّفوفِ، والتصفيقِ، وصِياحُ الرجالِ والنساءِ تَستُر صوتَه، ظلَّ الشابُّ يَتلَوَّطُ بالعبدِ الهنديِّ حَتَّى الفجرِ، فاخْلَوْلَقَ بيْنَ يدَيهِ، وعاد كَكِيسِ دَقِيقٍ بَيْنَ يَدَي كَلْبٍ، وفي الصباحِ ذهبَ إلى الحمَّامِ، وقد جاؤوهُ بطِسْتٍ، ورزْمَةِ ثيابٍ كعادَةِ الداخلِ بِعَروسِهِ.

وصَلَ إلى الحمَّامِ وقد أُنْهِكَتْ قُواه، قد تَشَقَّقَ اسْتُه تَشَقُّقَ مآزرِ عُمَّالِ الحمَّامِ، وحين رجعَ العبدُ إلى مَخْدَعِ الزوجيَّة كانت ابنةُ سيدِّه تنتظرُه كأنها هيَ العروسُ، وكانت أمُّها تَحْرُسُها، كي لا يُجرِّبَ العبدُ الفتاةَ بالنهارِ، وبعد أنْ

رمَقَها بنَظْرَةِ كَراهيَّةٍ، قال وقد جعَلَ يَدَيه أمامَه، كالذي يَتَّقِي بها: آمُلُ ألَّا يَتَوَرَّطَ أحدٌ في وِصَالِ عروسٍ سيِّئَةِ الفَعَالِ مثلكِ، وَجْهُكِ الأنْثويُّ ناعمٌ بالنهارِ، وأيرُكِ بالليل أنْكَى مِنْ أيرِ الحمار !!

هكذا أَنعُمُ الدنيا كلها، مُحَبَّبةٌ إلى النَّفْس مِنْ بَعِيد، ولكنها إنْ قَرُبَتْ فحَسْبُكَ الاختبار...» !!

تعليق: هذا الشاعر الثَّرْثَار الذي زعموه عاطفيًا داعية حُبٍّ لم يَسْتَهْجِنْ بِبَيْتٍ واحدٍ خديعةَ وظُلْمَ هؤلاء السَّادة بعَبْدِهم الضعيف، فما (معنَويٌّ) هذا عندَ أتباعِهِ ؟!

قِصَّةُ دَلَّاكِ النِّساءِ (نَصُوحٍ)[1]

وقال في ج٥ رقم(٢٢٢٨) :

«كان فيما تقادَمَ مِنَ الزمان رجلٌ يقال له: نَصُوحٌ، كان يعملُ دَلَّاكًا في حمَّامٍ ليوقعَ النساءَ في شَرَكِه !! كان وجهُه يشبِه وجوهَ النساءِ، أمْرَطَ، يُخفي فحولتَه دائمًا. كان عملُه دلَّاكًا في حمامِ نساءٍ، جِدُّ نشيطٍ في الخُبْثِ والتحايل.

اشتغلَ في التَّدْليكِ سنينَ عديدةً وما اشْتَمَّ أحدٌ مِنْ سِرِّه وحالِه أدْنَى رائحَةٍ ! ذلكَ أنَّ صوتَه أيضًا كان يُشبِه صوتَ النساء، وَسِيماهُ سِيماهُنَّ، أمَّا الشهوةُ فكانتْ فيه مُتَعاظِمَةً ويقظةً جدًا، يَضَعُ الخِمارَ، ويُغطِّي رأسَه، جاعلًا على

---

(١) مرَّ بك أنَّ شخصية (نصوح) هذه خرافة، وقد ذكرها الجلال عرضًا في كتابه: (المجالس السبعة) ص٧٩، كما أوردها عشيقه التبريزي في (المقالات) جـ٢ / ١٥٩-١٦٠، ورجَّح (كولبينارلي) أنها من الخيال الشعبي، الذي حوَّل نصوحًا مِن صفةٍ إلى شخصٍ، وأصرَّ الدكتور إبراهيم شتا (مترجم المثنوي كله إلى العربية) على مخالفته !! انظر ترجمته للمثنوي ٥/ ٥٣٥.

وجهِه البُرقعَ. كان شابًا شهوانيًا، مُفرطًا في الشهوة، فكان وهذه الصفة صفته يُدَلِّكُ لِبَناتِ الملوكِ ويَدْعَكُ ظُهُورَهُن بالصُّوفةِ ويغسلهن، كان يَرومُ التوبةَ لكن النفسَ الكافرةَ كانت تُفْسدُ عليه في كلِّ مرَّةٍ توبتَه !!

ذهبَ سيِّئُ العملِ هذا إلى عارفٍ (صوفي)، وتَضَرَّعَ إليه أن يَذْكُرَه في دعائه. عرَفَ ذاكَ الرَّجُل الحرُّ سِرَّه، لكنه كحلْمِ الله أيضًا، لم يُبْدِ له شيئًا، كانت شَفَتاهُ مُغلقَتَيْن، بَيْدَ أنَّ في قلبه أسرارًا قد زَمَّ شفتَيْهِ عليها، لكن فؤاده مُليء بالأصوات.

شاربو الخمرةِ الإلهيَّةِ مِنَ العارفين !! يعرفون الأسرارَ، بَيْدَ أنَّهم يُخْفُونَها !! فإنْ أفْشَى (أحدهم) أسرارَ الأمر لأحَدٍ مِنَ الناس خَتَموا على فيه وخاطوه !!

ضَحِكَ العارفُ باستعجابٍ وقال: يا سَيِّءَ المخْبَرِ أنْقَذَكَ اللهُ مما تعرفُ وتُخفِيه بقلبكَ. يُشبه ما يَطْلُبُه العارفُ الواصلُ مِنَ الله ما يطلبُه اللهُ مِنْ نَفْسِه !! لأنه قالَ: كنتُ سَمْعَه وبصرَه ولسانَه[1] ويَدِهُ. وقال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٧] وهناك آياتٌ وأحاديثُ بهذا الخصوصِ كثيرةٌ. خَلَقَ اللهُ السَبَبَ وأخَذَ بأُذُنِ المُذْنِبِ وذهبَ به إلى تَوبَة نَصوح».

ثم قال في (٢٢٤٢) :

(١) لفظ: (ولسانه)، زيادة ليست في الحديث الصحيح، ورأيتها عند ابن عربي في الفصوص، فلعلها من زياداته الكشفية !!

«تجاوَزَتْ تلكَ الدعوةُ سبعَ السمواتِ وقُبلَتْ، وانْتَظَمَ أمْرُ ذاكَ المسكين في النهايةِ وطابَ لأن دعوةَ الشيخ تلك لا تُشبِه أيَّةَ دعوةً أخرى !! قد فَنِيَ الشيخُ في الله، فقولُه قولُ الحقِّ !! إذا طلَبَ اللهُ شيئًا مِنْ نَفسِه، فكيف يَرُدُّ طلَبَ نَفْسِهِ؟!![1] عَظَمَةُ الرَّبِّ خَلَقَتْ سَبَبًا للخلاصِ مِنْ هذا العمل المنْبُوذِ، وهذا الوَبال.

بَيْنا نصوحٌ يَمْلأُ الطَّسْتَ في الحَمَّام، إذا لؤلؤةٌ تُفْقَدُ لبنتِ الملِكِ، ضاعَتْ لؤلؤةٌ مِنْ لآلئ قُرْطِها، فجعَلَ جميعُ النساءِ يبحثن عنها في الحَمَّام. بادئ ذي بَدْءٍ غلَّقْنَ بابَ الحَمَّام كي يبحثن في أمتِعَةِ مَنْ فيه، فَتَّشُوا أمتعةَ الجميع ولم يجدْنَ اللؤلؤة وعلى هذا لم يَفْتَضِحْ سارقُها، وبعد هذا البحث العَشْوائي جعَلْنَ يبحثن في أفواه وآذان وكُلِّ الثقوب الموجودة في الجسم بحثًا مُسْتَقصيًا.

بحثنَ عن تلكَ اللؤلؤةِ الجميلة، أسفلَ وفوقَ وفي كلِّ جهةٍ !!، ثمَّ صِيْحَ بهنَّ: لِيَتَعَرَّ الجميعُ !! العجائزَ والشابات تَعَرَّيْنَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكُنَّ أمهاتكن !! وبدَأَتْ خادماتُ السلطان تفتيش الجميعِ واحدةً إثْرَ واحدةٍ للعثور على تلك اللؤلؤة القيِّمة. انْتَحَى نصوحٌ مِنْ خوفِه ناحيةً خالية وامْتُقِعَ وجهُه وتَبَثَّرتْ شفتاهُ مِنْ الرُّعب ! وغَشِيَتْه رَعْشَةٌ كرعشةِ ورَقَةِ الخريف، وعادَ يَرَى الموتَ أمامَ ناظِرَيْهِ، قال: يا ربِّ كَمْ مِنَ المرَّات قد تُبْتُ وأعطَيْتُ العُهُود، ثمَّ نَكَثْتُها فعَلْتُ ما يَلِيقُ بي. وفي النهايةِ جاء السيلُ العارم وحَلَّ، إنْ جاءَتْ نَوْبَةُ التفتيش إليَّ فالوَيْلُ لي، مَنْ يدري كم سأُعاني، وما الصِّعابُ التي سأذُوقُها، سَقَطَتْ

---

(١) هذه من حُلوليّات الرومي.

مئاتٌ مِنَ الجَمراتِ في كَبِدِي أُنْظُرْ لرائحةِ الكَبد في مُناجاتي !! لا رَأى كافرٌ مثلَ غَمِّي ومُصابي، تَعَلَّقْتُ بِذَيْلِ رحمتِكَ، المَدَدَ المَدَدَ، ليتَ أُمي لم تلدني، أوْ لَيْتَ أَسَدًا كان قد مَزَّقَني، يا رَبِّ فافعَلْ ما أنتَ أهلُه، إنها لثُقوبٌ أُلْسَعُ مِنْ أَفاعِيها، ما أقْسَى قلبي، كأنه حَجَرٌ أو حديدٌ، إنْ لم يكنْ كذلكَ كان يَنْبَغِي أنْ يَذُوب منذ دَهْرٍ، أوْ أنْ يَسْتَحِيلَ دَمًا. ضاقَتْ مُهْلَتِي، أَغِثْ في لحظةِ صَرْخَتِي، أَجِرِ رُبُوبِيَّتَكَ يا رَبِّ !! إنْ سترْتَني وحَمَيْتَني هذِه المَرَّةَ - أيضًا - فماذا يكون ؟ قد تُبْتُ مِنْ كلِّ ما لا ينبغي فعلُه مِنَ الأعمال، فاقْبَلْ مِنِّي تَوْبَتِي هذهِ المرَّة - أيضًا - لأجْلِ أنْ أُثَبِّتَ نَفْسِي على التوبة برَبْطِ مئاتٍ مِنَ الأحزمة حولي، إنَّ قَصَّرْتُ في عَمَلي هذه المرة أيضًا، فلا تستجِبْ دُعائي، ولا تسمِعْ لقولي.

حَدَّثَ بهذا نَفْسَهُ، وهوَ يرعش، وعيناهُ تَذْرِفان قَطْرَةً قَطْرةً، وراحَ يصرخُ ظانًّا نفسَه بين يَدَيْ الجَلَّاد، وصاحبِ العَذاب وقال: لا سَقَطَ إفرَنْجِيٌّ في حالٍ كهذه !! لا مَرَّ مُلْحِدٌ بما مَرَرْتُ به مِنَ الهَوْل !! وجعَلَ يبكي، يَرى عزرائيل أمامَ عَينيه، وراحَ يُردد: يا ربِّ، يا ربِّ، مرارًا عديدة، حَتَّى نَطَقَ البابُ والجِدارُ معه: يا ربِّ، يا ربِّ، وبينما هو يردِّدها: يا ربِّ، يا ربِّ إذا صوتُ الباحثات عن اللؤلؤة يُسْمَع ...»: (يُعْلَنُ العُثورُ عليها وينجو نصوح).

حَتَّى (جُحا) ما سَلِمَ مِنَ الرومي!!

قال في جـ ٥ رقم (٣٤٢٥) :

جلسَ واعِظٌ مَفوَّهٌ على المنبرِ، وأخذَ في وَعْظِه، وتحلَّقَ الجميعُ، النساءُ والرجال بأَصْلِ المِنْبَر، فَأقبلَ جُحا وقَدْ لَاثَ مُلاءَةً حَوْلَ رأسِهِ، وَسَتَرَ وجهَهُ، حَتَّى

جلسَ معَ النساء، ما ثَمَّةَ مَنْ يَعرفه. فكان أنْ سألَتِ امرأةٌ الواعظَ سؤالًا، تُسِرُّ لَهُ بِهِ: أَيُفْسِدُ شَعَرُ العانَةِ صلاةَ المرءِ؟ فأجابَها الواعظُ: إنْ كان طويلًا كُرِهَتْ !! فاحْلِقِيهِ إمَّا بنورةٍ أَوْ بالموسَى حَتَّى تكون صلاتُكِ تامَّةً مَقْبُولَةً !! فقالتِ المرأةُ: ما الطُّولُ الذي إنْ بَلَغَهُ الشَّعرُ لم تُقْبَل صلاتي ؟

فقال الواعظُ: إنْ طالَ فبَلَغَ طُولَ شَعِيرَةٍ وَجَبَ الحَلْقُ !! فسرعان ما قالَ لها جُحا: انظري يا أختي، أبَلَغَتْ لَدَيَّ الطُّولَ الذي قال ؟! أنشُدُكِ اللهَ لما مَدَدْتِ يَدَكِ وفَحَصْتِهِ، لِنَنْظُرَ هَلْ بَلَغَ حَدَّ الكَراهَةِ ؟!

فما هو إلَّا أنْ جعلَتِ المرأةُ يَدَها في إزار جُحا حَتَّى تَلَقَّتْ أيرَه في يَدِها، فصرَخَتْ صرخةً عاليةً، فقال الواعظُ: قَدْ أَثَّرَ كلامي في قلبها !! فقال جُحا: لا ما أَثَّرَ في قلبِها بَلْ في يَدِها!! يا عاقلُ لَوْ أَثَّرَ في قلبها فالوَيْلُ لها».

قصةُ الخليفةِ والقائد والجارية الحسناء[١] :

قال في جـ٦ (٣٨٣١) :

«قال نَمَّامٌ لخليفةِ مصرَ، وقد حَدَّثَهُ أنَّ لملِكِ المَوْصِلِ جاريةً كأنَّها مِنَ الحُور: إنَّ له جاريةً ليس في الدُّنيا حسناء مثلها، ليس لجمالها حَدٌّ، فيشملها

(١) ذهب الدكتور ميكائيل بايرام، وأستاذه قبله (عبد الباقي كولبيناري) إلى أنها قيلت في هجاء الظاهر بيبرس، والعباسي الذي أقامه خليفة في مصر. وقد بدا هذا القول أقرب إلى واقع حال الرومي من كلام (فروزانفر) الذي ذكر للقصة مأخذًا من التراث. انظر أحاديث وقصص المثنوي ص ٥١٠، ٥١١.

وَصْفٌ، أو يبلغَ نَعْتَها كلامٌ، هذه صورتُها (رَسْمُها) في هذه الورقة حسبُكَ أنْ تنظُرَ !!

ما إنْ نَظَرَ ذاكَ الخليفةُ العظيمُ في الصورة التي على الورقة حَتَّى أُخِذَ بها، وسقَطَ مِنْ يدِه القَدَح، فأرسلَ مِنْ فوره إلى الموصل جيشًا عَرَمْرَمًا، وجعلَ عليه بطلًا مِنْ أبطالِه وقال: لئنْ لم يُسَلِّمْ إليكَ فلقةَ القمر تلكَ، فاستَوْفِ الحَرْقَ والهَدْمَ، فإنْ أعطاكَها فَكُفَّ عنهم ولا تصنَعْ بهم شيئًا، واجْلُبْ قطعةَ القمر تلكَ حَتَّى أَضُمَّها إليَّ في دُنيايَ ضَمَّةً !!

أخذَ القائدُ البَطَلُ طريقَ الموصل، ومعه الآلاف مِنَ الأبطال المغاوِير، بالطَبْل والرَّايات. تَهافَتَ العَسْكَرُ الكَثِيفُ على البلدة يَسْحَقُها تَهافُتَ الجَرادِ على مزرعة، وأمرَ بنَصْبِ مجانيقَ في كلِّ ناحيةٍ أمثالَ جبل (قاف) !! وانهالَتْ السِّهامُ كوَقْع القَطْر، وبَدَأَتْ حِجارَةُ المجانيق ترعدُ والسُّيوفُ تبرقُ !

استمَرَّ القتالُ أسبوعًا كاملًا، وأهْرقَتِ الدِّماء وذابَتِ القلعةُ المبنِيَّةُ بالحجارة كَشَمْعَةٍ، وسُوِّيَتْ بالأرض. لَمَّا رأى ملِكُ الموصل هذه الحربَ المرعبة أرسَلَ مِنْ داخِلِها رسولًا وقال:

إلامَ تقصد مِنْ إراقةِ دماء المسلمين؟ هاهُمْ يَموتُون ويَتَفانَوْنَ في رَحاها، فإلامَ تَرْمِي؟ فإنْ كنتَ تقصدُ إلى الاستيلاء على الموصل فقد كان يمكنكَ ذلك بغير سَفْكِ الدماء هكذا، أَخْرُجُ أنا مِنَ البلدة، واقْدُمْ أنتَ فادْخُلْها، حسبُكَ أَلَّا تَلْحَقَكَ دماءُ المظلومين، وإنْ كنتَ ترغبُ في المال والذَهَبِ والمجوهرات، فقد كان أخْذُ هذه الأشياء منها سهلًا ميسورًا فلَمّا أنْ جاء الرسولُ مقامَ ذاكَ البطل

أخرَجَ له صورةَ الجارية وقال: انظُرْ إلى هذه الورقةِ، أريدُ هذِهِ ! فلْيُسَلِّمْها مِنْ فوره وإلَّا فأنا الأقوى !! فلما أنْ رجَعَ الرسولُ وأطلَعَه على المراد قال ذاكَ الملِكُ الفَحْلُ: لِنَعْدَمْ هذِهِ الصورةَ، خُذْها إليهِ مِنْ فورِكَ ! لسْتُ في عَهْدِ الإيمان ممن يعبدُ الوَثَنَ والأصَحُّ أنْ يكونَ الوثَنَ عندَ مَنْ يعبدُ الوَثَنَ. فلَّما أنْ جاءَ الرسولُ بالعذراء إلى ذاكَ البَطَل الشجاع وَقَعَ لِتَوِّهِ في عِشقها!!».

ثم قال في(٣٨٦) :

«ظنَّ ذاكَ البطلُ الشجاع البئرَ طريقًا، راقَتْ له الأرضُ الجدْبَاءُ، فأرادَ أنْ يزرَعَها بالبُذُور، اسْتَلْقَى فنامَ، ورأى في النوم خيالًا فيلتقي به فيهيج به الحلم وعندما يستيقظ وتعود إليه نفسُه يَرى أنَّ ذاكَ الغُنْجَ واللعب لم يكن في صَحْوِه فيقول: أوَّاه !! قد أرَقْتُ مَنِيِّي سُدَىً !! قد انْخَدَعْتُ لغُنج ذاك الخيال الغَنِجِ. كان ذاك البطل الشجاع بطلًا في الجسم، ما كانت لَدَيْه البطولة الحَقَّة، فلذلكَ قَذَفَ بماء فُحُولَتِه في مثل ذاكَ الرَّمْل الجَدِيبِ !!».

ثم قال في (٣٨٧٥) :

«فارقَ ذاكَ البطَلُ الشُّجاع الموصل وأخَذَ طريقَ العَوْدَةِ، فكان أنْ وَصَلَ إلى غابَةً خَضِرَةً، وكانتْ نارُ العِشْق قَدِ اشْتَدَّ ضُرامُها حَتَّى ما عادَ يَمِيزُ بين السماءِ والأرض !! فتَوَجَّه تِلْقاءَ فلقَةِ القَمَر تلكَ وهيَ في خيمتِها، أيْنَ العقل ؟ وأينَ الخوفُ مِنَ الخليفة ؟ إذا ضَرَبَتِ الشهوةُ طُبُولَها في هذا الوادي فما العقلُ

الذي تزعُمُ يا فِجْل ابن فِجْل !! مئاتٌ مِنَ الخلفاء يَغْدُونَ في عَيْنَي ذاكَ البطل المشْتَعِلَتَيْن أهْوَن مِنْ ذُبابة.

جلسَ ذاكَ البَطَلُ الذي يَعْبُد تلكَ المرأة، وقد أنزَلَ سَراوِيلَهُ عندَ رِجْلَي الجاريةِ فَبَيْنا يَتَّجِهُ أَيْرُه في استقامَةٍ إلى حيثُ يريد أنْ يتَّجِه إذا بضَجَّةٍ عارِمَةٍ، وقيامةٍ حمراءَ تَنْفَجِرُ في الخارج !!

هَبَّ البطلُ مِنْ مكانِه كالشَّرَرِ حاسِرًا عاريَ الاسْتِ !! وخرَجَ شاهِرًا سيفَه، فإذا بأسَدٍ هَصُورٍ قد خرَجَ مِنْ غابِه، فرَمَى بنَفْسِه في وسطِ الجيش، ففَزِعَتِ الخَيْلُ وثارَتْ، وتَهَدَّمَتْ كلُّ خيمةٍ وإصْطَبلٍ، وماجَ الناسُ واضطربوا. هجمَ الأسدُ الهصورُ عليهم مِنْ مَخْبَأٍ في الغابة، ووَثَبَ كمَوْجَةِ البحرِ في الهواء عشرينَ ذراعًا تامًّا.

كان البطلُ جِدَّ شجاعٍ فما احتَفَلَ به، واعترضَ كَضِرْغامٍ ثَمِلٍ طريقَ الأسدِ فضربَه بالسَّيفِ ضربةً شَقَّ بها رأسَه شَطْرَيْن، ومِنْ فَوْرِه رَكَضَ إلى الحسناءِ ذاتِ الوجه القَمَرِيِّ في خيمتها، فلما دنا مِنْ تلكَ الحُورِيَّة كان أَيْرُه مُنْتَصِبًا لم يَزَلْ !! قاتَلَ مِثلَ ذاكَ الأسدِ، ومعَ هذا كان أيرُه مُنْعِظًا لم ينطفِئ !! عجِبَتْ تلكَ الحُلوةُ ذاتُ الوجهِ القَمَري لِفُحُولَةِ ذاكَ البطل، فَسَلَّمَتْ إليه نفسَها، وهيَ راغبة فيه، في تلك اللحظةِ انْدَمجَتْ تِلْكُما الرُّوحَان ! ومِنْ اتحادِ هاتَيْن الرُّوحَينِ وانْدِماجِهِما تَصِلُ مِنَ الغَيْبِ رُوحٌ أخرى !! إن لم يكنْ في رَحِم المرأة شيءٌ يمنَعُ قَبولَ المنِيِّ، فإنَّ هذهِ الرُّوح تَظْهَرُ بطريقِ الولادة ! أَيُّما نَفْسَيْنِ الْتَقَتا بِحُبٍّ أو ببُغْضٍ، فانْدَمجَتا، فلا مَناصَ مِنْ ولادة روح ثالثة !!

أضاعَ ذاكَ البطلُ مِنْ جرّاء الفَجْر الكاذب طريقَه، فمِنْ ثَمَّ سقطَ سُقوطَ ذُبابةٍ في وعاء اللَّبَن، تعاطَيَا الرَّغَبات بضعةَ أيَّام، لكنه - بَعْدُ - نَدِمَ على ذَنْبِهِ العظيم، فأحْلَفَ الجارية قائلًا: يا ذاتَ الوجهِ المُشْرق لا تُخبري الخليفةَ بشيء مِنْ هذا الأمر.

سَكِرَ الخليفةُ لَمَّا رأى الجاريةَ، وسقطَ طَسْتُه هُوَ أيضًا مِنَ السَّطْح، وَجَدَها أجْمل مما مَدَحُوها به مئةَ مرة، ما راءٍ كمَنْ سَمِعَ. المَدْحُ (بالكلام) تصويرٌ لأُذُنِ العقلِ بَيْدَ أنَّ الصورةَ (المشاهَدَة) - فاعْلَمْ - عَمَلُ العَينِ لا الأذُن. سأَلَ أحَدُهم عارفًا: ياطيِّبَ القولِ: ما الحَقُّ، وما الباطلُ ؟ فقال ذاكَ الرَّجُل بيَدِهِ، وأمْسَكَ بأذُنِ السائلِ: هذا هُوَ الباطلُ، أمَّا الحقُّ فهو العَين، إنها يقينُ كلِّ شيء».

ثم قال في (٣٩٢٥) :

«ذاكَ الخليفةُ الأحمقُ !! أيضًا شُغِفَ حُبًا بالجارية، نَفَّسَ بها عن فؤادِه كما تَرَى!!».

ثم قال في (٣٩٤٢) :

«اشتهى الخليفةُ الجماعَ، فقصد الجارية وفي نِيَّتِهِ أن يُجامعها، أخْطَرَها ببالِه، وأَنْعَظَ أيرَه، ونَوَى أنْ يجامِعَ مَنْ تَهَبُ الروحَ أرواحًا، تلكَ التي يَزيدُكَ مُرور الوقتِ محَبَّتَها، جلَس بين رِجْلَي المرأة، لكنَّ القَدَرَ ربَطَ طريقَ الْتِذاذِهِ !! لامَسَ صوتُ حَرَكَةِ فأرَةٍ أُذُنَيْه، اِرْتَخَى أيْرُه ونام، وفارقَتْه الشهوةُ كلها، وقال: لا يكونَنَّ هذا الفَحِيحُ فَحِيحَ أفعى ؛ وذاك أنَّ الحَصِيرَ كان يَضْطَّرِبُ بقوَّةٍ، فلما عايَنَتِ الجاريةُ خَوَرَ الخليفةِ وارتخاءَهُ، جعلَتْ تضحكُ القَهْقَهَةَ، ذلكَ أنها ذَكَرَتِ البطَلَ (القائد) وكيفَ أنَّه رَجَعَ إليها مِنْ فَتْكِهِ بالأسدِ وأيرُه مُنْعِظٌ لَمْ

يَرْتَخِ، وكلَّما قَهْقَهَتْ تمادَتْ وجَرَّتِ القهقهةُ أختَها، كانتْ ترومُ الكَفَّ عن ذلكَ، بيْدَ أنها عجزَتْ أنْ تَضُمَّ شَفَتَيْها، فأمْعَنَتْ في الضحكِ كَمُدْمِنِ الحشِيشَةِ!! غَلَبَتْ قهقهَتُها مَضَرَّتها كما غلبَتْ منفعتَها، لم يُفِدْها ما فكَّرَتْ فيه، أو اجْتَلَبَتْه لعقلها، بل كان كلُّ ما فكَّرَتْ فيه قد زاد في ضحكها، وكأن سَدًّا قد هُدِمَ».

ثم قال في (٣٩٥٤) :

«لم يهدَأْ ضَحِكُها أيًّا ما حاوَلَتْ إيقافَه، فغضبَ الخليفةُ آخِرَ الأمرَ واحْتَدَّ، فاسْتَلَّ سيفَه مِنْ غِمْدِهُ وقال: يا خبيثةُ لِمَ تَضْحَكِينَ ؟ تَكَلَّمِي ! قد وَقَعَ شَكٌّ في قلبي مِنْ ضحكاتِكِ هذه، إيَّاكِ والخديعةَ، أُصْدُقِيني، إنْ رُمْتِ خديعتي بالكَذِبِ أو أنشأْتِ عُذْرًا فارغًا، فإني أعرفُه، في قلبي نُورٌ يُدْرِكُه !! يجبُ أنْ أُصْدَقَ والسلام».

ثم قال في (٣٩٦٥) :

«لما ضُيِّقَ على الجاريةِ حدَّثَتْهُ بالذي جرى، أخبرَتْهُ بفُحولَةِ ذاكَ البطلِ الذي يَرْجَحُ مئةَ (زالٍ)[1]. نَقَلَتْ له أمرَ ليلةِ الدخول بها، والذي وقع أثناءها، واحدًا واحدًا، حدَّثَتْهُ باسْتِلالِ البطلِ سَيْفَه، ومُضِيَّهُ وعَوْدَه بعدَ قتْلِ الأسد، وأيرُه مُنْتَصِبٌ كقَرْنِ الكَرْكَدَنِّ، وما رأَتْهُ بَعْدُ مِنْ ارتخاءِ أيرِ الخليفةِ، وانطفائه مِنْ صوتِ فأرة، وأنها لم تَملِكْ نفسَها حَتَّى ضحِكَتْ.

---

(١) شخصية من التراث الشعبي الفارسي، يضرب به المثل في القوة والصراع.

اللهُ يُخْرِجُ خَبِئَ الأسرارِ إلى العَلَنِ، فما دامَ الأمرُ إلى زوالٍ، فلا تَزْرَعَنَّ بذرةَ سَوْءٍ، فالماءُ والسحابُ والنارُ، وهذه الشمسُ تُخرِجُ الأسرارَ مِنْ تحت التراب !!».

سُفْلِيُّ السُّخْرية:

وقال في جـ ٤ (٢٢٢١) :

«دعا أَحَدُهم عندَ تَطَهُّره، وقد جاء مِنَ الغائطِ قائلًا: اللَّهُمَّ أَرِحْنِي رائحةَ الجنَّةِ !! فقال له مَنْ سمِعَه: لقد دعوتَ بدعاءٍ حَسَنٍ، لكنَّكَ أخطأتَ الثقبَ، هذا دعاءٌ يقالُ عند أَخْذِكَ الماءَ إلى الأنفِ في الوضوء، فقد جعلتَ دعاءً يقالُ عند غسلِ الأنفِ دعاءً عند غسلِ الاستِ !! كذا الحُرُّ يَشْتَمُّ رائحةَ الجنَّةِ مِنْ أنفِهِ، أَوَ يَجِدُ المرءُ رائحةَ الجنةِ مِنْ دُبُره ؟».

«أعطِني النايَ و...» واضرطْ !!

قال في جـ ٤ رقم البيت (٧٦٩): «بينا عازفُ نايٍ حَسَنُ العَزْفِ يَنْفُخُ في نايِه، إذا بضُراطٍ يُفْلَتُ مِنْ أَسْفَلِهِ، فما كان مِنَ العازفِ إلا أنْ جعلَ نايَهُ على اسْتِهِ، و قال: هَيَّا، فانْفُخِي إنْ كنتِ نافخَةً أجودَ منِّي !!».

تعليق :

قال الغزالي في (الإحياء) في كلامه على آفَة الفُحْش: «فأما حَدُّه وحقيقتُه، فهو التعبيرُ عن الأمور المستقبَحَةِ بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوِقاع وما يتعلَّق به، فإنَّ لأهل الفساد عباراتٍ صريحةً فاحشةً يستعملونَها فيه، وأهلُ الصَّلاح يتَحاشَوْن عنها بل يَكْنُون عنها»، حَتَّى قال:

«والباعثُ على الفحش إما قصدُ الإيذاء، وإما الاعتيادُ الحاصلُ من مخالطة الفُسَّاق وأهل الخُبْثِ واللُّؤم»[١].

وقال غيره إنَّ «مِنَ الشعراء مَنْ يَقَع منه في حال شَبِيبته، أو في حال غضبه، أو سُكْره، أشعارٌ يَرْغَبُ العاقلُ المستَبْصِر عن إثباتها له، وروايتها عنه، فيُسْقِطُها عند إفاقَتِه وتأمُّلِه، ولا يكاد يذكرها بعد ذلك، وهذا المتنبِّي كان يُقرأ عليه ديوانُ شِعره إلى حِين هلاكِه، ولا يُسقِطُ شيئًا منه، مما يقدح في دِينِه وعقلِه، ويَثْلُم في فضله ومروءَتِه، ولا يُغَيِّرُه»[٢].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٢).

(٢) ما بين قوسين من كلام صاحب (المآخذ على شُرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي) وهو صالح ليكون المعنيُّ به الجلال الرومي.

النتيجة :

فَتَدَبَّرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى   فَالعِلْمُ تَحتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ

إنَّ القرآن ليس فيه تعبيرٌ واحد يُخْجِل مَنْ أرادَ أنْ يَجْهَر بقراءته، فإنه يُمكِنُ للمسلم أنْ يقرأه على أولادِه المراهقين، وبناته العَذَارى في خِدْرِهِنَّ، أعني الآيات التي تضَمَّنتْ ذِكْرَ الاتصال الجنسي بنَوْعَيه المحرَّم والمباح، لا يخشى تأثيرًا سلبيًا عليهم، ذلك أن جميع تلك الآيات مرَّت على ذكر ذلك بأحسن الكنايات وأبلغها، كما ذكر أحوال بعض النساء المؤمنات وغيرهن، فذكر حواء، وامرأة نوح، وسارة، وامرأة لوط، وامرأة العزيز، وآسية امرأة فرعون، وأمَّ موسى، وأخته، وابنتي شيخ مدين، (وإحداهما زوج موسى)، وملكة سبأ، وامرأة عمران، ومريم، وزوج زكريا، وأمهات المؤمنين عائشة، وزينب، وحفصة، و خولة بنت ثعلبة(المجادِلة)، وامرأة أبي لهب حمَّالة الحطب، فما قال في إحداهن ما يَخْجَلُ القارئُ مِنْ قراءتِه، فهل كانت النساء المذكورات في المثنوي كذلك ؟

إن مما يُعجِبُ العلمانيين من أمر الجلال الرومي وكتابه تصييره إسلام المعجبين به إسلامًا وجدانيًا فقط، وليته كان صحيحًا إذ كان وجدانيًا إذن لخَفَّ الخَطْبُ - وما هو بخفيف - ولكنه فوق ذلك وِجْدَاني منحرف، فما انعكس - بعدُ - مِنَ المتأثرين به على الخارج يَسُرُّ أهل العَلْمَنة، ويَرُوقُ لهم من الأعماق.

أترونَ أنَّ كفارَ قريش تركوا رجلًا كان على التوحيد - أعني ورقة بن نوفل رضوان الله عليه - تركوه وما اختار مِنْ نَبْذِ عبادة الأصنام، فلم يؤذوه ولمْ يَتَهَدَّدُوه لا لشيء؟ هيهاتَ، إني لأحسبُ أنهم إنَّما تركوه وشأنَه لأنه اعتزلهم، (لم ينقل الرواة في خبره أنه كان يدعوهم، و يتدخل في شيء من أحوالهم الجاهلية)، ولكن حين جاء الله بالإسلام وبمحمدﷺ، رأى أهلُ مكةَ دينًا يتدخل في حرياتهم المالية الظالمة وعاداتهم الجاهلية، ورأوا رجلًا يُصَرِّح بضلالهم وضلال آبائهم ،فأبغضُوه، أمَا والله لو جاءهم بنهج الرومي الذي كان من شعاره (وحدة الأديان) و(تعالَ تعالَ كائنًا ما كنتَ تعال، مجوسيًا كنتَ أو عابدَ وَثَنٍ تعالَ) لما كان في الأرض رجلٌ أحَبَّ إليهم منه.

وهذه من الفوارق الكبيرة بين المنهج النبوي المحمدي، والمنهج الصوفي التيْ لأجلها أحبَّ الغربُ النصرانيُّ جلالَ الدين الرومي بخاصة، وأُولِعَ بمثنويه، وديوانه الكبير ؟ حتي أعلنَتْ منظمته الدولية (عام ٢٠٠٧) عامًا للإشادة به.

أيُّها القارئُ النَّبِيهُ، إنَّ عِلَلَ المسلمين كثيرةٌ، ومصادر تلك العلل متنوعة، وأخطرها ما كان تأثيره في العقيدة، ثمَّ تأتي الأخلاقُ بعدها، وقد تبين لك أن كتاب المثنوي مفسد لهما معًا، وقد رأيتَ قِلَّة إنكار العلماء إيَّاه، حَتَّى يوم الناس هذا، وكثرة المعجبين به، وتوافر الدعاة إلى نهجه مِنْ كل ملةً ودِين، حَتَّى أوْصَلُوا اسمَ صاحبه إلى منظَّمَة دولية تحتفل به، فالبلاء به قائم، بل في ازدياد، أيقال بعدَ هذا البيان: كَفَى تحذيرًا منه ومِنْ ناظِمه ؟

أيُقبَلُ قول إمَّعَةٍ، قرأ كتابي هذا، فلم يَعْبَأ بالسبب الذي دَفَعَ كاتب السطور لجمع الأبيات السابقة، وقال: ليتكَ أبقيتها مطويةً عن العرب، فإنها أبيات غير أخلاقية، والوقتُ وقت تَكَالُب الأمم على القَصْعَة !! ألا ما أحسن القصعة نازلة على رأسكَ إذْ صَيَّركَ عقلُكَ إلى هذا القول!!

إنَّ الخَطْبَ بهذا المثنوي جَلَلٌ، فلأجل ذا تكرَّرَتْ تحذيراتي منه، ولا بأس من التكرار، فإنه لا مندوحةَ عنه أحيانًا، بل لا بدَّ منه في أحايين كثيرة، أتَرَوْنَ أنَّ نوحًا عليه السلام، لم يُكَرِّرْ جُمَلَهُ وكلماتِه في دعوةِ قومِه إلى الحق والصواب تلك القرونَ التي مَكَثَها فيهم ؟

أما إني لو كتبتُ محذرًا من كتاب من كُتُب (ابن الراوندي)، ثم كتبتُ عنه مرةً ومرةً، وكرَّرتُ فيه القولَ، وأعدتُ اللفظَ، لحقٌّ أنْ تقولوا: كفاكَ حَطًّا على الزنديقِ، قد عرَفناه وما كَتَبَ، وانتهى الأمر. نَعَمْ، لَكُمْ أن تعترضوا بهذا وشِبهِه، إذْ أين كُتُب ذاكَ الأبعد ؟، وأينَ مَنْ يُقدِّسها؟ وهل ألبَسَ أحدٌ ابن الراونديَّ لبوسَ الأولياء ؟ فإن سمَّيْتَ نَفَرًا مِنْ شُذَّاذ المستشرقين وما نشروه، أيحتَفِي الغربُ وأذنابُه بها احتفاءهم بالرومي وكتابه؟

يا أساتذةَ الأدبِ الفارسيِّ في جامعاتِ البلاد العربية والإسلامية، أليس من علامات الإيمان بالله ورسوله أن تُبيِّنوا الحقيقة لطلابكم ؟ قولوا لهم: إنَّ إعجابنا بشعر الجلال الرومي لا ينبغي أن يُجاوِزَ حدود تذوُّقِ فنون الأدب الفارسي، ليست جَودةُ شِعْره وإتيانه بمعاني آياتٍ من القرآن بدليل ولايته وصلاحه، فإنه قد ظنَّ ذلك قبلكم أناسٌ مِنَ الصوفية، فعَطَّلُوا عقولهم عن

التفكير الصحيح، فعادَ كلُّ بيتٍ قاله هذا الشاعر مقبولًا لديهم، وإنْ خالفَ الدين والأخلاق، وصارت أكاذيبه عندهم من باب الغيب الذي يجب على المؤمن تصديقه.

واعتبروا بفقهاء وأدباء و(مفكرين) من هذا العصر، يمرُّون بالأحاديث الصحاح تُحَذِّر مِنْ دُعاة السوء، وكُتُب السوء، وخصالهم الخادعة من كثرة الصيام، والتهجُّد، وقراءة القرآن، وبيانٍ عالي الطبقة يمزجون به كلمات طيبةٍ، (وُصِفَت بأنها من قول خير البريَّة)، بل إنهم قد قرؤوا حديث: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم...»، و فهِموا منه ما يُفيده من أن اجتهاد أولئك في تعبُّدهم وزهدهم ليس مقبولًا عند الله ﷻ، ومع هذا لا يتصور أولئك الفقهاء والأدباء والمفكرون أن مؤلف المثنوي جدير بأن يُدْرَج مع المعنِيِّين بالتحذير منهم في الحديث الشريف.

أيُّ فقهٍ، وأيُّ تفكيرٍ صحيح عند مَنْ يَزعم أنَّ الحديث في الخوارج فقط، ثم لا يجوِّزُ أن تقع من غيرهم حماقات كحماقات الخوارج ؟

ألا فليتأملوا الحديث الذي فيه أنه ﷺ رَسَمَ على الأرض خطًا رئيسًا وخطوطًا جانبِيَّةً، يُمكِنُ التعبير عنها اليوم بـ(لوحة الرسم البيانية) شرح فيها للصحابة وللمسلمين إلى يوم القيامة حال دعاة الضلال الواقفين على جانِبَيْ صراطِ اللهُ المستقيم، فإني لا أشُكُّ أن المولوية وشيوخها من الواقفين الكُثُر على جانبي الصراط المستقيم، على رأس طريقٍ مِنْ تلك الطرق المنحرفة يُنادُون السائر على صراط الله المستقيم: أنْ ائتنا، فهذا طريق العاشقين، هنا العِشْق الإلهي، هنا

المثنوي كشَّاف القرآن !!، من هنا الوصول إلى الحبيب، وإمعانًا في التضليل يرطن بالفارسية بأبيات كالتي قالها الرومي: (مَن بنده قرآنم...، من خاك راه محمد مختارم...) يزعم أنه عبدٌ للقرآن، وأنه تراب طريق محمد المختار ﷺ.

إنَّنا لسنا في زمنٍ يُجدِي فيه حرق كتب الضلالة، فإن مِنْ آلات الطباعة في عصرنا ما يُمكنها طبع نُسَخ من المثنوي في زمن أقصر من الزمن الذي تصير نسخة منه رمادًا لو أُحرقَتْ !!

لا أدعوك بالضرورة أنْ تُتْلِفَ ما تملَّكْتَ من كتب الضلالة، ومنها المثنوي، ولكن لا أقلَّ مِنْ أن تجعله من الكتب (محدودة الاطِّلاع) خوف أن يقع بين يَدَيْ فرد من أفراد أسرتك وأهلِ بيتك، وأفضل من ذلك أن تجعله في غيابةِ جُبٍّ معنوية، وذلك بتحصينهم بالتحذير التفصيلي منه فيعود بذلك حبرًا على ورق !!

ولعل سؤالًا يتراءى أمامك يُبدي نفسه يقول: كيف سكت الساكتون من علماء دولة آل عثمان عن هذا المثنوي وفيه هذه الأبيات الفاضحات ؟ ومع أن ما تقدم من القول يغني عن الإطالة في جواب هذا السؤال، إلا أن صريح القول مواجهتك بالحقائق، وهي أن تعلم أن سكوتَ من سكتَ منهم كان إما عن اعتقادٍ باطل في المثنوي، فهيَ عينُ الرضا العمياء عن كل سقوط في الكتاب بما فيه السقوط الأخلاقي، ألا ترى كيف سكتوا عن عيب كلام ابن عربي في الفصوص من أمثال: (... فما نكح سوى نفسه)، وإما أن أصوات المنكرين كانت ضعيفة مغلوبة على أمرها.

نداء إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

وأقولها كلمة وإن كانت قاسية: خذوا كل جملة وكلمة كتبها (أبو الحسن الندوي) في الثناء على الرومي، واطْرَحُوها أين شئتم، فقد طَرَحَ دستور العلم حين كتبها[1]، أساء (أبو الحسن) في ذلك منثورًا، كما أدبر شاعرُ الهند (إقبال) في ذلك منظومًا.

وإنه قد مرَّتْ سنواتٌ على نشر كتاب (أخبار جلال الدين الرومي، ووَقَفَات...) وما بلَغَنِي أنَّ رابطة الأدب الإسلامي، ولا فاضلًا من فضلاء (النَّدْوِيين) كتَبَ حَوْلَ ذلك شيئًا، وإنه ليحقُّ لسائل أن يستوضح عن سبب سكوتهم، فيقول - مثلًا - للرابطة: أين رأيكِ في هذا الكتاب الذي آخَذَ مؤلفُه (أبا الحسنِ النَّدْوِيَّ) على مدائحه في المثنوي وصاحبه، التي لو قالها مولويٌّ تركي لكانت غُلُوًّا منه ؟

ألا مقالةً واحدةً في مجلتِكِ تُزيلِينَ فيه الرِّيَبَ عن أسباب سكوتك الطويل، التي مِنْ أهْوَنها أنكِ تعشقين الرومي عشقًا مكتومًا ؟ وهذا ما أُعِيذُكِ بالله منه ؟ فإني لأعلم أنكِ تَعلمين أن المثنوي كلامٌ لم يَخْرُجْ مِنْ إل، فاكتبي ذلك علانية، وانصحي للمسلمين، وذَرِي موقفكِ على الأعراف.

---

(١) أقل ما يُنتقد عليه وينبغي أن يُعلم أنه كتب ترجمة الرومي وما ذكر فيه قولًا واحدًا مما قاله خصومه فيه في عصره وبعد عصره، بل أتى بمديح صرف، وكأن الرومي نزل من السماء بزنبيل، كما يقول الترك في أمثالهم، وتراه في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية يورد مفتريات خصومه، ثم يدفع عنه، ألا فليخجل الساكتون من انتهاك (المنهج العلمي).

نعم، اكتبي رأيكِ، إلا يَكُنْ استجابةً لفلانٍ وفلان، فامتثالًا لقول سيِّد الأوَّلِين والآخرين، محمد ﷺ، الذي لا مندوحة لأحدٍ عن الاحتكام إلى هديه ونصحه، ولا شك أنكِ تعلمين قوله - بأبي هو وأمي- «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»، فهل كان الرومي صاحب أخلاق كريمة، كما قرأت ذلك في أخباره ؟ اكتبي (كَلِمَةً وكُلَيْمَةً)، تنصحين فيها المبهورين بشِعْره، تُشِيرين خلال ذلك - ولو بطرف خَفِي - إلى أكاذيب هذا الشاعر، التي أوردها في مقدمة كتابه، تلك الدعاوى العريضة التي تخرج عن الأدب الإسلامي خروجها عن الدين، إذِ المقدمةُ مكتوبةٌ مِنْ قِبَلِ المؤلف نفسه، بلسان عربيٍّ لا يُحتاج فيه إلى تُرجمانٍ. وقولي لقرائكِ أيضًا: إنَّ ما يشاهَدُ مِنْ رقص المولوية اليوم ليس بعيدًا عمَّا ابتَدَعَهُ الروميُّ لهم، وتساءلي كما تساءل الرافعي في مقالة له لأمر غير ما نحن بصدد منه: أفي المترادف شرعًا رقصوا وصلُّوا، أو رقصوا وذكروا الله ؟!

أما إنكِ لو بَقِيتِ على سكوتكِ فإن ذلك يجعلنا نُلحِق باسمك كلمة يكمل بها وَصْفُكِ، فنقول: رابطة الأدب الإسلامي الصوفي، فشأنكِ وما اخْتَرْتِ، واللهُ الموعدُ.

وبعدُ - أيُّها القارئ - أفترى أنْ لو اختفَتْ نُسَخُ المثنوي كلها من وجه الأرض- لسبب من الأسباب - أتختفي معها تفسيرُ آيةٍ مِنَ القرآن الكريم؟ كأني أسمَعُكَ - أيَّها المسلم - تقول: لا والله، ولا مثقال ذرَّة مِنْ معنى. نَعَمْ، وهذا جوابُ كل المسلمين، فمعاذ الله أن تكون آيةٌ واحدة في كتاب الله المبين يُحْتاجُ في فهمها إلى مثنوي جلال الدين الرومي، ولا لمِلْء الأرض مِنْ مثلِه. إنما

كشَّافُ القرآن سُنَّةُ نبينا الصادق المصدوق، محمد ﷺ الذي «أُوتي القرآن ومثله معه»[١] والمهتدون بهديهما.

سيقول نصيرٌ للمثنوي: كَمْ نسبةُ هذه الأبياتِ الفاضِحةِ التي جئتَ بها تريد طمس كثيرِهِ المقبول ؟ سبحان الله !! أإصرارًا على الباطل رغم هذا البيان للضلال في المثنوي، ما سرُّ هذا الدفاع عن شعر شاعر ؟ لا جرم أنَّ (عِشقه) ضاربٌ أطنابه في نفوس لها مآرب من ذلك.

أتصلُحُ معذرتكم هذه لكلِّ شاعرٍ وأديب إسلامي؟ أمْ هيَ للرومي بخاصَّة ؟ فإن لم تكن للرومي بخاصة، فسبِيلُكم أن تُجيزوا لمن كان أكثرُ نتاجه الأدبي والشعري مقبولًا شرعًا، إلا أنَّ فيه (قليلًا) ممَّا يَتَلَعْثَمُ الفاضلُ عند الجهر بقراءته ، أن يقول لمن أنكَرَ عليه: (فَعَلَها قَبْلي مولانا، فلا تثريبَ عليَّ)، أترضَوْنَها ياعقلاء؟[٢].

إنَّ ما اسْتُكْتِبَ سِوَى كِتاب الله ﷻ كثيرٌ، منه (مثنوياتٌ) على طريقة مثنوي الرومي، ومنه غير ذلك، وهذا لا يُضْعِفُ مِنَ القول: إنَّ المقصود من خبر المثاني أوالمثناة المروي عن عبد الله بن عمرو ﷺ هو مثنوي الجلال الرومي، كما

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٠٠ حديث رقم ٤٦٠٤.

(٢) مما يُلحظ على أكثر المدافعين عنه استِماتَتُهم في الذَّوْد عنه مهما كان منه مِنْ مخالفاتٍ، ومن عجيب ذلك أن مُقَدِّمَ برنامج شهير في تركيا (التي تُسَوِّغُ الديمقراطية فيها شتم ربِّنا – سبحانه – وجميع رسله جهارًا في وسائل الإعلام) قد لحَظَ ذلك التقديسَ و الحماس في الدفاع عن الرومي، فقال لأحد المتصِلِين بالهاتف من عشاق الرومي أثناء نقاشهما: « لكنكَ لا تدافعُ عن الرسول دفاعَك عن (مولانا)!! »، فكأنما ألقَمَهُ الحَجَر.

لا يُؤثِّر ظُهُورُ دجاجِلَةٍ كثيرين أشبَهُوا الدجال الأكبر في بعض أحواله أن هناك إنسانًا بعينه هو المعنِيُّ بذلك، وأنه سيخرج في قادِمِ الأيام.

لقد استطاع زنادقة العصور من خلال هذا المثنوي فعل ما لم يقدروا عليه بكتاب (الفُصُوص) وأمثاله، استطاعوا أن يدخلوه الجوامع والمدارس من غير نكير من المسلمين، وجعلوا المثنوي عندهم مثل القرآن، وقد علمْتَ أنَّ الممَهِّدَ لهم في ذلك عقائد باطلة تسلَّلَتْ إلى معتقد المسلمين منها القول: إن القرآنَ كلامٌ نَفْسِيٌّ لله تعالى، أنزلَهُ على قلب النبي، وهذا يعني في المحصَّلِ أن الصياغة و التعبير للنبي بالعربية والمعنى من الله، فما استبشعوا لذلك قول من قال: المثنوي كلام الله بالفارسية، تأمَّلْ إن كنت لا تُصدِّق ما قاله عبد الغني النابلسي في شرحه مقدمة المثنوي، قال: «(يُضِلُّ) أي: يوقِعُ في الضلال والحيرة والزيغ بعد الاهتداء (به) أي:القرآن العظيم المنزَل على قلب نبينا محمد ﷺ بالوحي النبوي المترْجَم باللسان العربي، والمنزَل على قلوب الوَرَثَة المحمديين إلى يوم القيامة بالوحي الإلهامي المترجَم بالألسنة المختلفة».

وفي (أخبار جلال الدين الرومي) أن مِنهم مَنْ ربما قرأ شِعر الرومي الفارسي في صلاته، فلولا أنه - عندهم - كالقرآن تمامًا لما فعلوه [1].

ليس الأمرُ أمرَ (انتخاباتٍ) حَتَّى يُنظرَ في قلَّة عدد ذامِّي المثنوي، وكثرة مادِحِيه، إنَّ الباطل لا ينقلب حقًا لكثرة محبيِّه ومُقْتَرِفِيهِ، ولو كانوا كرَمْلِ عالِجٍ، كذا الحال هنا، فلو كان المروِّجونَ للمثنوي يشاركونه في اعتقادِ ما كتبَه في مقدمة المثنوي، إنَّ مدائحَهُم - في نظر الشرع - لَكَرَمَادٍ اشتدَّتْ به الريحُ،

(١) المولوية بعد (مولانا) (ص ٢١٨).

ولكن يُعلم أن أكثر مادحيه يجهلون من أمره ما هو بَدَهِي في العلم بشخصية من الشخصيات، وكثيرٌ منهم يجعل نُسَخ المثنوي من تكملة الأثاث في الدار، ولعلَّه ما قلَّبَ صفحاته منذ اشتراه، وإن منهم من تكاثف جهله به جدًا، وإن تَدَثَّروا بألقابٍ شرعية وأكاديمية، وهؤلاء البَبْغائيُّون يُكاثِرُ بهم أنصارُ المثنوي اليوم.

فليس انفرادٌ لِلمُحِقِّ بضائر وإنْ يَمْتَدِدْ دَهرًا على الحَقِّ يَقْلُل

أُجْمِلُ لكَ كلمتي فأقول: حرامٌ عدُّ المثنوي تفسيرًا من تفاسير المسلمين، ورِدَّةٌ عن الدين أن يُوصَفَ بأنه: تنزيلٌ مِنْ لَدُن حكيم خبير، أَوْ أنه خلاصة معنى القرآن و زُبْدَتُه، ومُؤدَّاهُ وصَفْوَتُه، أو أنه «نبعَ مِن منبعِه، فأخَذَ خاصِيَّةَ مُلْهِمِه ومُشَرِّعه !!».

أسألُ الله الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، أن يهديكم إلى الحق بإذنه. اللهمَّ غيرةً لكتابكَ، وقيامًا لنصرةِ دينكَ، وحبًا لخاتم أنبيائك ورسلكَ، ما كتبتُه في هذا الكتابِ، اللهمَّ فاغفر الزللَ في عملي، وتقبَّل الصالحَ منه، بك استعنتُ، وإياك عبدتُ.

وكتب: محمد بن عبد الله أحمد

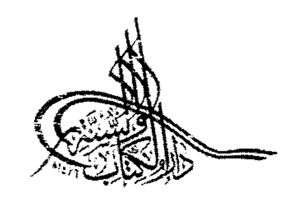
المدينة المنورة

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

❊ ❊ ❊



رسالتنا

الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في كل ما يتعلق بالعقيدة و بالمنهج و الفقه وفهمهما على النهج الذي كان عليه سلفنا الصالح - من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين

إحياء نفائس تراث الأمة الإسلامية وطباعة و نشر و تيسير الكتب العلمية والمنهجية للعلماء وطلبة العلم المعروفين بصحة عقيدتهم وسلامة منهجهم .

تحذير المسلمين من الشرك بالله على اختلاف مظاهره وكشف شبهات أهل البدع والأهواء والجهل والزيغ والإنحراف عن الطريق المستقيم ، ومقاومة الأفكار المنحرفة والأساليب والنظم الدخيلة على الإسلام التي شوهت صورته السمحة ، كأصحاب التخريب والمظاهرات والفتن والإضطرابات والإنتحار والتفجيرات .

السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف وإن جاروا وظلموا ، والنهي عن الخروج وتحريض الناس عليهم سواء بالسيف أ و باللسان ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم -:((تسمع وتطع للأمير و إن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع)).

هذه رسالتنا ، ونسأل الله التوفيق والسداد ، وأن تكون تلك الأعمال في ميزان حسناتنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، إنه هو الغفور الرحيم .

العنوان: عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر هاتف الإدارة: ٤٣٩ ٧١ ٦٤ ٠١٠ - ٨٧ ١١ ٢ ١٠ ٠١٠ فاكس: ٥٢ ١٠ ٢ ١٠ ٠١٠

موقعنا على الإنترنت: www.dar-ketabsunah.com

البريد الإلكتروني:

إدارة التسويق: marketing@dar-ketabsunah.com

إدارة الإنتاج: production@dar-ketabsunah.com

الإدارة العامة: Admin@dar-ketabsunah.com

للتواصل عبر الماسنجر:

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alktabwalsunnah@yahoo.com